كوشنر يفجّر الجانب الاقتصادي لصفقة القرن المتخفية

التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٧٥ السنة الثامنة والأربعون - ذو القعدة ١٤٤٠ هـ
الثمن ٥ جنيهات

الكفارات في الحج

الانترنت أخطاره ومفاسده

- رسول البشرية خير معلّم ومفتٍ في الحج
- تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن بعده
- ورحل العلامة الفقيه عبد القادر شيبة الحمد

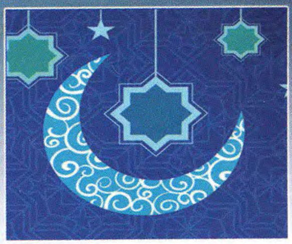

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

السلام عليكم

لا تكن كالإسفنجة

كثير من الناس سمّاع للشبهات كلما أورد عليه أحد شبهة تشربها قلبه، ثم أخذ يبحث عن النجاة منها؛ كالإسفنجة تمتص كل ما يعرض عليها، فلا تميز بين نافع وغير نافع، ولا بين غث وسمين، وقديما جلس شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية بين يدي شيخ الإسلام ابن تيمية يعرض عليه شبهات وإيرادات رجاء أن يردها، فنصحه بهذه الوصية الغالية التي قال فيها ابن القيم: «ما أعلم أني انتفعت بوصية في دفع الشبهات كانتفاعي بذلك»؛ قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (٤٤٣/١): «قال شيخ الإسلام - رضي الله عنه - وقد جعلت أورد إيراداً بعد إيراد: لا تجعل قلبك للإيرادات والشبهات مثل السفنجة، فيتشربها، فلا ينضح إلا بها، ولكن اجعله كالزجاجة المصمتة، تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها، وإلا فإذا أشربت قلبك كل شبهة تمر عليها صار مقراً للشبهات، أو كما قال».

رئيس التحرير

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام
WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

مفاجأة كبرى
نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٦ مجلداً من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٦ سنة كاملة

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢

٢- في الخارج ٤٠ دولارًا أو ٢٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم /١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

في هذا العدد

افتتاحية العدد: د. عبد الله شاكر ٢

كلمة التحرير: رئيس التحرير ٥

باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي ٩

باب الاقتصاد الإسلامي: د. حسين حسين شحاتة ١٢

من أخلاق حملة القرآن: د. أسامة صابر ١٥

باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق ١٧

درر البحار: علي حشيش ٢١

فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد ٢٣

منبر الحرمين: د. صالح بن حميد ٢٦

باب الفقه: د. حمدي طه ٢٩

مهارات واجبة للدعاة: د. ياسر لمعي ٣٢

واحة التوحيد: علاء خضر ٣٦

دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي ٣٨

فقر المشاعر: د. محمد إبراهيم الحمد ٤١

خير معلم ومفت في الحج: عبده أحمد الأقرع ٤٤

تحذير النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن بعده: د. عماد عيسى ٤٧

الأسرة المسلمة: الإنترنت أخطاره ومفاسده: جمال عبد الرحمن ٥٠

تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش ٥٣

ترجمة العلامة عبد القادر شيبة الحمد: فتحي أمين عثمان ٥٦

قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧

الأحداث الهامة في تاريخ الأمة: عبد الرزاق السيد عيد ٦١

نشأة النبي صلى الله عليه وسلم يتيمًا: د. سعيد صوابي ٦٥

الكفارات في الحج: محمد عبد العزيز ٦٧

أثر سلوكيات الأراذل في اندثار كثير من الفضائل: المستشار أحمد السيد علي إبراهيم ٧٠

١٠٥٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

افتتاحية العدد

المؤمنون ومسؤولية أداء الأمانة

الحلقة الأخيرة

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فقد تحدثت في اللقاء الماضي عن خُلُق الأمانة، وبيَّنت أنها من خصال الأنبياء والمرسلين، وعباد الله الصالحين، كما ذكرت بعض مجالاتها، وأواصل في هذا اللقاء الحديث حول هذا الموضوع، فأقول وبالله التوفيق:

إن الله تبارك وتعالى نهى أهل الإيمان عن خيانة الأمانة، فقال في كتابه الكريم: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» (الأنفال:٢٧)، وقد ساق الحافظ ابن كثير روايات في سبب نزول هذه الآية، وعقَّب عليها بقوله: «والصحيح أن الآية عامة وإن صح أنها وردت على سبب خاص، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند جماهير العلماء، والخيانة: تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية». (تفسير ابن كثير ٢/٤١٢).

وذكر البغوي رحمه الله في تفسيره للآية عن ابن عباس أنه قال: «لا تخونوا الله بترك فرائضه، والرسول صلى الله عليه وسلم بترك سنته، وتخونوا أماناتكم». وذكر عن قتادة أنه قال: «واعلموا أن دين الله أمانة فأدوا إلى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده، ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها». (معالم التنزيل ٢/٢٤٣).

والله تبارك وتعالى يحب أهل الأمانة، ولا يحب أصحاب الخيانة، حتى مع المخالفين لك في الديانة، قال تعالى: « وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ» (الأنفال:٥٨)، قال ابن كثير: «أي: حتى ولو في حق الكفار لا يحبها أيضًا». (تفسير ابن كثير ٢/٤٣٨).

واعلم يا عبد الله أن الله لا يُوفّق الخائنين، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ (يوسف:٥٢)، قال الشوكاني: «أي: لا يثبته ويسدّده، أو لا يهديهم في كيدهم حتى يوقعوه على وجه يكون له تأثير يثبت به ويدوم». (فتح القدير: ٢/٣٤).

والخيانة أمارة على النفاق كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان». (البخاري: ٣٣، ومسلم: ١٠٧).

قال ابن حجر في شرحه: «والنفاق لغة: مخالفة الباطن للظاهر، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر، وإلا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه». (فتح الباري ١/٨٩).

وقال النووي في معنى الحديث: «هذا الحديث مما عدَّه جماعة من العلماء مشكلاً من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقًا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر، ولا هو منافق يخلد في النار..، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال، ولكن اختلف العلماء في معناه؛ فالذي قاله المحققون والأكثرون- وهو الصحيح المختار-: أن معناه: أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم». (شرح النووي على مسلم ٢/٤٦).

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدَر، وإذا خاصم فجر». (البخاري: ٣٤، ومسلم: ١٠٦).

وقد تضمن هذا الحديث الغدر في المعاهدة، وأنه من خصال المنافقين، وقد ورد وعيد شديد على هذه الخصلة من النبي صلى الله عليه وسلم لمخالفتها للأمانة، وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بابًا قال فيه: «باب إثم الغادر للبر والفاجر». ثم ساق حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لكل غادر لواء يوم القيامة يُعرَف به». (صحيح البخاري: ٣١٨٧). قال ابن حجر في شرحه: «قوله: باب إثم الغادر للبر والفاجر» أي: سواء كان من بَرّ لفاجر أو بَرّ، أو من فاجر لبر أو فاجر». (فتح الباري ٦/٢٨٤).

كما عقد الإمام مسلم بابًا في صحيحه قال فيه: «باب تحريم الغدر»، وساق تحته حديث عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان». (صحيح مسلم: ١٧٣٥).

كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن من خصال المنافقين الفجور في الخصومة، ومعنى الفجور في الخصومة: أنهم يميلون عن الحق ويقولون الباطل والكذب. (انظر: شرح النووي على مسلم ٢/٤٨).

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم: «أن أحوال الناس في نهاية الزمان ستتغير، حتى ينسب الأمين إلى الخيانة، ويؤتمن الخائن، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ الله يبغضُ الفحشَ والتَّفحُّشَ والَّذي نَفسُ محمَّد بيده لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى يُخوَّنَ الأمينُ، ويؤتَمنَ الخائنُ، حتَّى يَظهرَ الفُحشُ والتَّفحُّشُ، وقَطيعةُ الأرحام وسوءُ الجوار، والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه إنَّ مثلَ المؤمنِ لَكَمثلِ القطعةِ مِنَ الذَّهبِ

نفَخَ عليها صاحبُها فلم تَغيَّرْ ولم تَنقُصْ، والَّذي نفسُ محمَّد بيده إنَّ مثلَ المؤمن لَكَمثل النَّحلة أكَلَتْ طيِّبًا ووضعت طيِّبًا ووقعت فلم تَكْسر ولم تُفسد، قال: وقال: ألا إنَّ لي حوضًا ما بينَ ناحيتيه كما بينَ أيلةَ إلى مَكَّةَ-أو قالَ صنعاءَ إلى المدينة- وإنَّ فيه منَ الأباريق مثلَ الكواكب هوَ أشدُّ بياضًا منَ اللَّبن وأحلى منَ العسَل مَن شربَ منهُ لم يظمأ بعدَها أبدًا». (أخرجه أحمد في مسنده، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر ١١/٩٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَيَأْتي عَلَى النَّاس سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ؛ يُصَدَّقُ فيهَا الْكَاذبُ، وَيُكَذَّبُ فيهَا الصَّادقُ، وَيُؤْتَمَنُ فيهَا الْخَائنُ، وَيُخَوَّنُ فيهَا الْأَمينُ، وَيَنْطقُ فيهَا الرُّوَيْبضَةُ. قيلَ: وَمَا الرُّوَيْبضَةُ؟ قَالَ: الرَّجُلُ التَّافهُ في أَمْر الْعَامَّة». (أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢/٣٧٤).

والمراد بالسنوات الخداعات: هي التي تكثر فيها الأمطار ويقل الخصب، فذلك خداعها؛ لأنها تطمعهم في الخصب بالمطر، ثم تُخلف، وقيل: الخداعة: القليلة المطر، من خدع الرِّيق: إذا جف». انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/١٤).

والرويبضة: تصغير رابضة، وهو الذي يرعى الغنم، وقيل: هو الذي عجز عن معالي الأمور وقعد عن طلبها. (انظر: لسان العرب ٧/١٥٣).

وضياع الأمانة والتفريط فيها مؤذن بقرب قيام الساعة، كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بَيْنَمَا النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ في مَجْلس يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابيٌّ فَقَالَ مَتَى السَّاعَةُ. فَمَضَى رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْم: سَمعَ مَا قَالَ فَكَرهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إذَا قَضَى حَديثَهُ قَالَ: أَيْنَ أُرَاهُ السَّائلُ عَن السَّاعَة؟ قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ الله. قَالَ: فَإذَا ضُيِّعَت الْأَمَانَةُ فَانْتَظر السَّاعَةَ. قَالَ: كَيْفَ إضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إلَى غَيْر أَهْله فَانْتَظر السَّاعَةَ».

وقد أخرج الإمام البخاري هذا الحديث في موضعين من صحيحه أولهما: في كتاب العلم. قال ابن حجر في شرحه: «ومناسبة هذا المتن لكتاب العلم: أن إسناد الأمر إلى غير أهله، إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط، ومقتضاه: أن العلم ما دام قائمًا ففي الأمر فسحة، وكأن المصنف أشار إلى أن العلم إنما يُؤخَذ عن الأكابر، تلميحًا لما روي عن أبي أمية الجمحي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أشراط الساعة أن يُلْتَمس العلم عند الأصاغر». (فتح الباري: ١/١٤٣).

وعليه أقول: يا أهل الإيمان: احذروا من ضياع الأمانة، والزموا أمر الله تبارك وتعالى بالقيام بأدائها، وأختم هذا المقال بالأثر الوارد عن ابن مسعود رضي الله عنه، وهو يبين شأن الأمانة: «القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها إلا الأمانة، قال: يُؤتَى بالعبد يوم القيامة وإن قتل في سبيل الله، فيقال: أدِّ أمانتك، فيقول: أي: رب كيف وقد ذهبت الدنيا؟ قال: فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، فينطلق به إلى الهاوية، وتُمثَّل له أمانته كهيئتها يوم دُفعَتْ إليه، فيراها فيعرفها، فيهوي في أثرها حتى يدركها، فيحملها على منكبيه، حتى إذا ظن أنه خارج زلَّت عن منكبيه، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين..». رواه البيهقي في الجامع لشعب الإيمان، وقال محققه: رجاله موثقون. (٨/٢٤٨).

أسأل الله تعالى أن يوفقنا للقيام بأداء الأمانات التي أوجبها على العباد، كما أسأله العون على ذلك، والله المستعان.

كوشنر يُفجِّر الجانب الاقتصادي لصفقة القرن المتخفية

رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM

الحمد لله يعز المسلمين بكرمه ورحمته، والصلاة والسلام على نبي المرحمة، وبعدُ: ففي الوقت الذي تدقّ فيه طبول الحرب في المنطقة، وتجيّش الجيوش والتصريحات المتضاربة من كل أطراف اللعبة، ومحاولة إضفاء جوّ ينذر بكارثة ستطال كل دول المنطقة وخارجها، رغم اليقين بأن كل التصريحات النارية هدفها تنفيذ مخططات متفق على أبعادها وحدودها، فالتعاون السري بين أمريكا وايران واسرائيل قديم وممتد منذ عصر الشاه (الايراني)، بتنسيق أمني بين مخابرات تلك الدول.

وفي تلك الأثناء التي شغلت العالم وألهبته دق طبول الحرب وتأثيراتها الوخيمة على كل دول المنطقة، بما لا يخفى كل تلك المناوشات المحدودة المدى التعاون الخفي الوثيق بين أمريكا وايران، والتنسيق والتحالف في كل قضايا المنطقة وادارة ملفاتها، ولم تغب إيران عن كل مشاريع الغرب وأمريكا وإسرائيل في المنطقة وتحت غطاء كثيف من مظاهر العداوة المصطنعة والمزيفة تجري الترتيبات والتنسيق والتعاون غير المحدود بينهما، في نفس الوقت الذي تستمر فيه أمريكا من خلال خطة «كوشنر» التي تتسارع فيها الخطوات الأمريكية نحو تنفيذ مخطط صفقة القرن الرامية لتصفية القضية الفلسطينية، ولكي يكشف النقاب عن جانب من المسمى المزعوم بـ«صفقة القرن»، وينسق البيت الأبيض الأمريكي تمشيًا مع مخطط الإعلان التدريجي وجس النبض بخطوات متسارعة لورشة عمل اقتصادية تزيل النقاب عن جزء من المخطط الأمريكي يتعلق بالتنسيق

الاقتصادي والإجهاز على القضية، بفرض الأمر الواقع بتخطيطات دقيقة، ثم صياغتها بليل كئيب ممن يكنُّون للأمة بُغضًا وازدراءً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أمريكا تدق طبول حرب بعيدة المنال

لقد أشعلت أمريكا المنطقة بدق طبول حرب وشيكة الوقوع بين أمريكا وإيران، ومن المؤكد في حالة وقوعها أنها ستطال كل دول المنطقة، بل العالم أجمع، وما يمكن أن يترتب على ذلك، والموازنات والمصالح والأطماع لدى كل دولة من أصحاب النفوذ في العالم، وتصريحات متضاربة ساعة تلو الأخرى، عن حرب لن تقع، وإن خالط ذلك بعض المناوشات وجس النبض واستعراض للقوة، وتوسيع النفوذ، وتعاون مصالح يسمح لكل الأطراف بتغيير وتبديل المواقف حسب المصالح والحسابات والتقسيمات بين أصحاب النفوذ، وتصاعدت حدة التصريحات ونبرتها وحدَّة التحركات، وبدت المنطقة وكأنها على حافة الهاوية، وظهرت المنطقة وكأنها ذاهبة في طريق اندلاع حرب إقليمية كبرى تشمل إيران وميلشياتها في العراق وسوريا ولبنان من جهة، وأمريكا ومعها إسرائيل ودول الجوار الإيراني ودول الخليج، والمنطقة العربية من جهة أخرى، وسط تصعيد وتهويل لشغل كل دول المنطقة لما يمكن أن يترتب على ذلك من آثار مدمرة سيتأذى منها الجميع، ورفعت تلك الخطوات والقرارات من حدة التكهنات والتوقعات بشأن مآلات الأوضاع في المنطقة، وغلب على التقديرات القول بحتمية وقوع ضربات عسكرية أمريكية على إيران في أقل الاحتمالات وأضيقها، والضغط الأمريكي لتصغير عداد تصدير النفط الإيراني للخارج، وتفعيل سلاح العقوبات ضد الدول التي تستورد النفط الإيراني، والاستفزازات الإيرانية بضرب بعض السفن البترولية، وضرب سفينة يابانية في الوقت الذي كان فيه رئيس وزراء اليابان يقوم بمحاولة للوساطة، وسحب فتيل إشعال الأزمة، وتهدئة المواقف حسب المصالح، والاعتداءات المتكررة على المدن السعودية ومطاراتها، بما يُعَدُّ تصعيدًا خطيرًا يمكن أن يلهب المنطقة بأكملها، والتصريحات الإيرانية والأمريكية المستفزة والمتغيرة من ساعة لأخرى!!

والتعاون الوثيق بين إيران وأمريكا وإسرائيل ليس بغائب عن الأذهان؛ فالدعم والمساندة والمشاركة العسكرية والاستخباراتية والسياسية التي قدمتها إيران للولايات المتحدة خلال غزوها للعراق وأفغانستان ليس بمجهول عند أي متابع للأحداث، وفتح الأجواء الإيرانية للطيران والمقذوفات الأمريكية، وتشكيل فصائل استخباراتية من الميلشيات العراقية، لجمع المعلومات عن انتشار الجيش العراقي على الأرض، وإمداد القوات الأمريكية المهاجمة بتلك المعلومات الاستخباراتية، تتعلق بإحداث تغيير استراتيجي كبير ذي مدى زمني ممتد، لا يجري إلا بناء على توافقات استراتيجية، ولذلك رأينا تأسيس سلطات احتلال مشتركة بين الدولتين في أفغانستان والعراق، وحسب ما هو بارز في التصريحات والأحداث، فالصراع يتعلق الآن بمحاولة إيران امتلاك بنية للتصنيع النووي وصولاً لإنتاج أسلحة نووية، وبامتلاك

منظومة صاروخية قادرة على إيصال المقذوفات إلى أمد بعيد، وقد وصل الآن إلى نحو ٢٠٠٠كم٢، وهو ما جاء متوافقًا مع سياسة إيرانية متعمدة لنشر الصواريخ عبر وكلائها في المنطقة.

إنه صراع حول من له اليد الطولى في إعادة ترتيب أوضاع المنطقة العربية بعد كل هذا التخريب الذي جرى بأيد إيرانية، وكيفية بناء الشرق الأوسط بتوازنات وآفاق جديدة، وفي سبيل ذلك تسعى أمريكا لإعادة إيران إلى دورها الوظيفي المعتمد المحدّد لها في الاستراتيجيات الغربية، والموقف الأوروبي منذ افتعال الأزمة يُدلل على ذلك!!

ورشة عمل البحرين أولى خطوات «صفقة القرن»

في التوقيت الذي اشتعلت فيه منطقة الشرق الأوسط بعد أحداث الخليج والاعتداءات التي أدينت فيها إيران من قِبل الولايات المتحدة الأمريكية بأنها من تقف وراء تلك الأحداث لجرّ المنطقة بل والعالم إلى أتون حرب لا يعلم مداها إلاّ الله، والمستفيدون من وقوعها أطرافٌ عدة؛ تنعقد في البحرين في الأيام الماضية ورشة عمل اقتصادية يتبناها البيت الأبيض الأمريكي من خلال عقد ورشة عمل اقتصادية في العاصمة البحرينية المنامة تعلن خلالها عن الشق الاقتصادي لما يسمى بـ «صفقة القرن» بشأن انعقاد تلك الورشة الاقتصادية، لعرض الجانب الاقتصادي من الخطة، وذلك لجمع ما يزيد على خمسين مليار دولار يخصص منها ثمانية وعشرون ملياراً لتحسين حياة الفلسطينيين، وإيجاد فرص عمل لمليون مواطن فلسطيني على مدار عشر سنوات لتحسين حياة الفلسطينيين، وتخصيص الجزء الآخر لدعم مشروعات في مصر والأردن ولبنان وسط غياب إسرائيلي حكومي، ومقاطعة فلسطينية، وتأكيدات من كل المتابعين للمؤتمر الذي خطط له كوشنر (صهر الرئيس الأمريكي ترامب)، بفشل الصفقة؛ لأنها تقدم الجانب الاقتصادي على قضايا الصراع الرئيسية، وتتجاهل حل الدولتين، وإسقاط حق عودة اللاجئين وسط تأكيد مواقف تلك الدول بالتأكيد على حقوق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة على حدود ١٩٦٧م وعاصمتها القدس الشرقية، وحق العودة للاجئين الفلسطينيين، معلنًا فقط عن الشق الاقتصادي للصفقة وتأجيل الشق السياسي لشهر نوفمبر المقبل بعد الانتخابات الإسرائيلية.

كوشنر والمبادرات لدعم الاقتصاد

ويروج البيت الأبيض تفاصيل الشق الاقتصادي لخطة السلام المزعومة بهدف حشد دعم دولي لها في ورشة المنامة، وتقدم هذه الخطة التي أشرف على إعدادها فريق العمل الذي يترأسه «كوشنر» لضخ ما يزيد على خمسين مليار دولار على امتداد عشر سنوات في الضفة الغربية وقطاع غزة ودول الجوار، معتمدة على هبات دولية وقروض واستثمارات.

وتعتبر إدارة ترامب هذه الخطة الأكبر طموحًا وشمولية في تاريخ الجهود الدولية لحل الصراع، وتقوم رؤية «كوشنر» على ثلاث مبادرات ركائزها الاقتصاد والشعب والحكومة، لتمكين الفلسطينيين من تنفيذ الخطة الاقتصادية بدعم من المجتمع الدولي (لبناء مستقبل أفضل للفلسطينيين وأبنائهم)، كما تعتبر الإدارة الأمريكية أن هذه الرؤية تستطيع ضمان مستقبل من الكرامة والفرص للفلسطينيين، وتضع هذه الرؤية ثلاثة

أهداف بعيدة المدى تسعى لتحقيقها خلال عقد كامل؛ هي: رفع الناتج المحلي الإجمالي الفلسطيني بأكثر من الضعف، وخلق أكثر من مليون فرصة عمل للفلسطينيين، وخفض مستوى الفقر بنسبة ٥٠٪.

وتقترح الخطة الاقتصادية -التي وضعها «كوشنر»- تخصيص ٢٧,٥ مليار دولار للضفة الغربية، وقطاع غزة، و٩,١ مليار دولار لمصر، و٧,٤ مليار دولار للأردن، و٦,٣ مليار للبنان، وتنوي الإدارة تحويل الخطة عبر هبات وتبرعات يساهم فيها القطاع الخاص باستثمارات تصل إلى ١١,٦ مليار دولار.

الانحياز الأمريكي، والتقارب بين ترامب ونتنياهو

ويُعد الانحياز الأمريكي لإسرائيل من بديهيات وعناوين السياسة الخارجية في الولايات المتحدة، ولكن الأمر مع الرئيس الأمريكي الحالي أخذ منحًى آخر؛ حيث يبدو وكأنه دعم لشخص رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو، فبخلاف الإجراءات العنيفة التي سلكها ترامب ضد الفلسطينيين التي طالت الثوابت التي لم يقترب منها أسلافه، مثل باراك أوباما، وجورج دبليو بوش، ينحاز ترامب إلى نتنياهو داخل إسرائيل حيث دعمه في الانتخابات السابقة التي جرت في أبريل الماضي، كما سانده في محاولاته الفاشلة لتشكيل ائتلاف حكومي، والآن يكرر ترامب أخطاءه؛ حيث يشار إلى أنه يسعى لدعم نتنياهو في الانتخابات المزمع إجراؤها في ١٧ سبتمبر المقبل.

ونشرت صحيفة لوس أنجلوس تايمز الأمريكية، مقالاً تحت عنوان «تقارب ترامب مع نتنياهو في اختبار جديد مع الانتخابات الإسرائيلية المقبلة قال فيه: «إن إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب تجاوزت الكل لمساعدة رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو على الفوز في الانتخابات الإسرائيلية السابقة في شهر أبريل الماضي، كما حاولت دعمه في محاولاته الفاشلة لتشكيل ائتلاف حكومي، ومع تحديد موعد الانتخابات المقرر إجراؤها في ١٧ سبتمبر المقبل.

وأضاف الكاتب أنه يتوقع من إدارة ترامب بذل المزيد من الجهود لمساعدة رئيس الوزارة الإسرائيلي، لافتًا إلى أنه في الحقيقة بالنسبة للرئيس ترامب، لا يبدو نجاح أي سياسي آخر أكثر أهمية من نجاح نتنياهو، فالرئيس ترامب لا يدعم نيتياهو لأسباب عاطفية أو شخصية كما ادعت الصحف العبرية، بل إن مساعدة نتنياهو تعني من وجهة نظر ترامب استقطاب تأييد أنصار إسرائيل في الولايات المتحدة، واستمرار الضغط على إيران والحفاظ على حلمه الخيالي المتمثل في إبرام اتفاق نهائي بين إسرائيل والفلسطينيين.

وإذا ما طرحنا التساؤل حول ما الذي يمكن أن يفعله ترامب لنتنياهو من الآن حتى انتخابات ١٧ سبتمبر؟ فقد أرجأ البيت الأبيض الشق السياسي من خطة السلام الكبرى المسماة بـ «صفقة القرن» التي وضعها صهر الرئيس وكبير مستشاريه جاريدكوشنر، حتى لا يخلق أي تواترات بين نتيناهو وجناحه اليميني، في الوقت الذي قام فيه كوشنر أيضًا بتسليط الضوء على الجزء الاقتصادي من تلك الخطة، وهو ما يسمى بورشة المستثمرين في البحرين والتي انعقدت في أواخر يونيو المنتهي.

اللهم وفق قادة الأمة وزعماءها إلى ما تحب وترضى، وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الْفَتْحِ

باب التفسير

الحلقة الرابعة

قال تعالى: « لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا »

(الفتح: ٩-١٠).

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

ما يزال حديثنا متصلاً حول صفات النبي صلى الله عليه وسلم، وحقه على الأمة:

فقد بَيَّنَ الله تعالى الْحِكْمَةَ مِنْ إِرْسَالِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ حَقَّ اللهِ وَحَقَّ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: « لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » (الفتح: ٩) أَيْ: أَرْسَلْنَاهُ لتقُومُوا بالإيمان بالله وَرَسُوله، «وَتُعَزِّرُوهُ» قَالَ قَتَادَةُ: تَنْصُرُوهُ وَتَمْنَعُوهُ مِمَّنْ أَرَادَهُ بِسُوءٍ. (فتح القدير ٥/٥٦). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه وَغَيْرُ وَاحِدٍ: مِنَ التَّوْقِيرِ وَهُوَ الاحْتِرَامُ وَالْإِجْلَالُ وَالْإِعْظَامُ. (تفسير القرآن العظيم: ٤/١٨٥) وَهُنَا وَقْفٌ تَامٌّ، ثُمَّ يَبْتَدِئُ «وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ» أَيْ: تُسَبِّحُوا الله عزَّ وجلَّ «بُكْرَةً وَأَصِيلًا» أَيْ: غُدْوَةً وَعَشِيَّةً. (الجامع لأحكام القرآن ١٦/٢٦٧).

كَمَا أَمَرَكُمْ، حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا » (الأحزاب: ٤١-٤٢)، سَوَاءٌ أُرِيدَ بالتَّسْبيح قَوْلُ سُبْحَانَ الله، أَوْ أُرِيدَ بِهِ الصَّلَاةُ، فَأَوَّلُ النَّهَارِ وَآخِرُهُ مَحَلٌّ لذا وَذَاكَ، فَمِنَ الْأَذْكَارِ الْمَشْرُوعَةِ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِه مَائَةَ مَرَّةٍ، وَفِي أَوَّلِ النَّهَارِ صَلَاةُ الصُّبْحِ، وَآخِرِهِ صَلَاةُ الْعَصْرِ.

فَأَشَارَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى أَعْظَمِ حُقُوقِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْعِبَادِ وَهُوَ الْإِيمَانُ بِهِ، صلى الله عليه وسلم وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَتَى بِهِ. قَالَ تَعَالَى: « قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » (الأعراف: ١٥٨).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». (صحيح البخاري ٨)

فَالإِيمَانُ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وَاجِبٌ مُتَعَيِّنٌ، لا يَتِمُّ إِيمَانٌ إِلا بِهِ، وَلا يَصِحُّ إِسْلامٌ إِلا مَعَهُ.

وَالإِيمَانُ به صلى الله عليه وسلم هُوَ تَصْدِيقُ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَةِ اللهِ لَهُ، وَتَصْدِيقُهُ فِي جَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ وَمَا قَالَهُ، وَمُطَابَقَةُ تَصْدِيقِ الْقَلْبِ بِذَلِكَ شَهَادَةَ اللِّسَانِ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا اجْتَمَعَ التَّصْدِيقُ بِهِ بِالْقَلْبِ وَالنُّطْقُ بِالشَّهَادَةِ بِذَلِكَ بِاللِّسَانِ تَمَّ الإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ لَهُ.

وَقَدْ جَمَعَ الْقَاضِي عِيَاض رَحِمَهُ الله حُقُوقَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي كِتَابِهِ «الشِّفَا بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ الْمُصْطَفَى» فَأَجَادَ وَأَفَادَ.

وَقَدْ وَعَدَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْ قَامَ بِحَقِّ رَسُولِهِ مِنَ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْزِيزِ بِالْفَلاحِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (الأعراف: ١٥٧).

بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ:

«إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا»:

عَرَفْنَا مِنَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي قَدَّمْنَاهَا بَيْنَ يَدَيِ السُّورَةِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم سَارَ بِأَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا، بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ. فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ. حَلْ. فَأَلَحَّتْ، فَقَالُوا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا». ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ. فَجَاءَهُ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَهْلِ تِهَامَةَ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ، وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ، نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيلُ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلاَّ فَقَدْ جَمُّوا (أي: استراحوا)، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ». فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ. فَاسْتَأْذَنَهُمْ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُود فِي أَنْ يَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَيَتَكَلَّمَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ.

فَأَرَادَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ هُوَ مِنْهُمْ لِيَكُونَ أَقْرَبَ إِلَيْهِمْ فَلَعَلَّهُمْ يَسْتَجِيبُونَ، فَدَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ ابْنِ كَعْبٍ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ

عَدَاوَتِي إِيَّاهَا، وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنِّي أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ أَعَزَّ بِهَا مِنِّي، عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ. فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَبَعَثَهُ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ، يُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِحَرْبٍ، وَإِنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ، وَمُعَظِّمًا لِحُرْمَتِهِ.

وقد بعث النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عُثْمَانَ لِيُعْلِمَ قُرَيْشًا أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ مُعْتَمِرًا لَا مُحَارِبًا، فَفِي غَيْبَةِ عُثْمَانَ شَاعَ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ تَعَرَّضُوا لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، فَاسْتَعَدَّ الْمُسْلِمُونَ لِلْقِتَالِ، وَبَايَعَهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حِينَئِذٍ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عَلَى أَنْ لَا يَفِرُّوا، وَذَلِكَ فِي غَيْبَةِ عُثْمَانَ.(فتح الباري ٧/ ٥٩).

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ الشَّجَرَةِ وَالنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُبَايِعُ النَّاسَ وَأَنَا رَافِعٌ غُصْنًا مِنْ أَغْصَانِهَا عَنْ رَأْسِهِ، وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً، قَالَ: لَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ، وَلَكِنْ بَايَعْنَاهُ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَّ(صحيح مسلم ١٨٥٨). وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، فَبَايَعْنَاهُ وَعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَهِيَ سَمُرَةٌ. وَقَالَ: بَايَعْنَاهُ عَلَى أَلَّا نَفِرَّ. وَلَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى الْمَوْتِ. (صحيح مسلم ١٨٥٦).

وَعَنْ نَافِعٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه: رَجَعْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ فَمَا اجْتَمَعَ مِنَّا اثْنَانِ عَلَى الشَّجَرَةِ الَّتِي بَايَعْنَا تَحْتَهَا، كَانَتْ رَحْمَةً مِنَ اللهِ. فَسَأَلْتُ نَافِعًا: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعَهُمْ، عَلَى الْمَوْتِ؟ قَالَ: لَا، بَايَعَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ. (صحيح البخاري ٢٩٥٨).

وَعَنْ سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ عَدَلْتُ إِلَى ظِلِّ الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا خَفَّ النَّاسُ قَالَ: «يَا ابْنَ الأَكْوَعِ، أَلَا تُبَايِعُ»؟. قَالَ: قُلْتُ قَدْ بَايَعْتُ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «وَأَيْضًا». فَبَايَعْتُهُ الثَّانِيَةَ. فَقُلْتُ لَهُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كُنْتُمْ تُبَايِعُونَ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ عَلَى الْمَوْتِ (صحيح البخاري ٢٩٦٠).

وَلَا تَعَارُضَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ، وَلِذَلِكَ تَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ «الجهاد»: (بَابُ الْبَيْعَةِ فِي الْحَرْبِ عَلَى أَنْ لَا يَفِرُّوا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى الْمَوْتِ)

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: «كَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَى أَنْ لَا تَنَافِيَ بَيْنَ الرِّوَايَتَيْنِ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي مَقَامَيْنِ، أَوْ أَحَدُهُمَا يَسْتَلْزِمُ الْآخَرَ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُبَايَعَةِ عَلَى الْمَوْتِ أَنْ لَا يَفِرُّوا وَلَوْ مَاتُوا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ يَقَعَ الْمَوْتُ وَلَا بُدَّ، وَهُوَ الَّذِي أَنْكَرَهُ نَافِعٌ وَعَدَلَ إِلَى قَوْلِهِ «بَلْ بَايَعَهُمْ عَلَى الصَّبْرِ»، أَيْ عَلَى الثَّبَاتِ وَعَدَمِ الْفِرَارِ، سَوَاءٌ أَفْضَى بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى الْمَوْتِ أَمْ لَا وَاللهُ أَعْلَمُ. (فتح الباري (٦/ ١١٧و١١٨)).

وَاللهُ تَعَالَى قَدْ أَمَرَ بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ عِنْدَ اللِّقَاءِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» (الأنفال: ٤٥، ٤٦)، وَنَهَى عَنِ الْفِرَارِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» (الأنفال: ١٥- ١٦).

وَقَدْ سُمِّيَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ لِأَنَّهَا كَانَتْ سَبَبًا لِرِضَا اللهِ عَنْهُمْ، كَمَا سَيَجِيءُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» (الفتح: ١٨).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

التطبيق المعاصر للزكاة

أحكام وحساب زكاة النشاط الزراعي والاستثمارات الزراعية

إعداد د. حسين حسين شحاتة
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تخضع الزروع والثمار وكل ما استنبت من الأرض للزكاة، ودليل ذلك عن الكتاب قول الله تبارك وتعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ »(البقرة: ٢٦٧)، وقوله عز وجل: «وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ»(الأنعام:١٤١)، والدليل من السنة ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مقدار الزكاة، فقال: «فيما سقت الأنهار والغيم العشر، وفيما سقي بالساقين نصف العشر» (رواه مسلم)، كما أجمع الفقهاء على وجوب الزكاة مما استنبت من الأرض، ويرى الإمام أبو حنيفة أن كل ما يُنبت من الأرض فهو نماء تجب فيه الزكاة.

ولقد ظهرت في الآونة الأخيرة مجموعة من الاستثمارات المرتبطة بالنشاط الزراعي ومنها على سبيل المثال:

- مشروعات استصلاح الأراضي.
- مشروعات استزراع الأراضي.
- مشروعات مزارع إنتاج عسل النحل.
- مشروعات مزارع المشاتل ونباتات الزينة والفاكهة.
- مشروعات الخدمات الزراعية.

ولقد أثير العديد من التساؤلات حول الأحكام الفقهية والأسس المحاسبية لحساب الزكاة على الاستثمارات في المشروعات الزراعية المعاصرة، وهذا ما سوف نتناوله بشيء من التفصيل في هذا الفصل في ضوء ما صدر عن مجامع الفقه والهيئة الشرعية العالمية للزكاة من فتاوى وقرارات، وبصفة خاصة الندوة الثامنة لقضايا الزكاة المعاصرة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، جلسة زكاة الزروع والثمار، والندوة الثانية عشر التي عقدت في مصر ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

أحكام وحساب زكاة الزروع والثمار

تتمثل الأحكام الفقهية لحساب زكاة الزروع والثمار في الآتي:

(١) يدخل في وعاء زكاة الزروع والثمار كل ما استنبت من الأرض من محاصيل وثمار وزهور ... وما في حكم ذلك وكان له قيمة ومنفعة مفيدة شرعا.

(٢) تؤدى الزكاة وقت الحصاد مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى: «وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ »(الأنعام: ١٤١)، ولا يشترط حَوَلاَن الحول لأن النماء يتم خلال الفترة الزراعية.

(٣) الأصل أن تدفع الزكاة عينا من جنس المحصول، ولكن يمكن أن تؤدى نقدًا ما دام ذلك في مصلحة الفقير، وتُقَوَّم المحاصيل وغيرها على أساس القيمة السوقية وقت حلول الزكاة، ويمكن أن تحسب الزكاة على أساس القيمة النقدية ثم تترجم إلى كميات وتؤدى عينًا.

(٤) هناك آراء عدة بخصوص خصم نفقات الزراعة من قيمة الناتج، ولقد تأثرت آراء معظمهم بالعصر الذي كانوا فيه، وتصورهم لطبيعة النشاط الزراعي، وتتلخص هذه الآراء في الآتي:

- الرأي الأول: عدم جواز خصم النفقات وتحسب الزكاة على الإجمالي.
- الرأي الثاني: جواز خصم النفقات وتحسب الزكاة على الصافي.
- الرأي الثالث: جواز خصم النفقات بشرط أن لا تزيد عن الثلث.

والرأي الأخير هو الذي أخذت به الهيئة الشرعية العالمية للزكاة وهو يتواءم مع ظروف وطبيعة النشاط الزراعي في هذه الأيام.

(٥) هناك عدة آراء بخصوص خصم الديون الحالّة التي على المزكي، والرأي الأرجح هو جواز خصمها؛ لأنها ترتبط بأحد شروط الخضوع للزكاة وهو أن يكون المال خالياً من الدين.

(٦) يحسب وعاء زكاة الزروع والثمار في ضوء ما سبق بالمعادلة الآتية:

وعاء الزكاة = (قيمة الناتج- (النفقات في حدود الثلث + الديون الحالّة)).

(٧) مقدار نصاب الزروع والثمار ٥ أوسق أو ما يعادل ذلك وزنًا حسب الأحوال في كل زمان ومكان، ولقد قدره الفقهاء والعلماء المعاصرون بما يعادل ٥٠ كيلة أو ٦٥٣ كيلو جرام من أغلب قوت الناس.

(٨) سعر زكاة الزروع والثمار ١٠٪ إذا كانت الأرض تروى بماء السماء أو ما في حكمها، أو ٥٪ إذا كانت الأرض تروى بآلة أو ما في حكمها أو بواسطة الآبار.

أحكام وحساب زكاة ناتج الزراعة بالمشاركة

يقصد بنظام الزراعة بالمشاركة، بأن يقدم طرف الأرض الزراعية، ويقوم طرف آخر بتعهدها بالزراعة من حرث وبذر وري وحصاد، ويتفقا على أن يقتسما صافي الناتج بعد خصم النفقات بينهما حسب الاتفاق.

ففي هذه الحالة يطبق قاعدة الخُلطَة في الزكاة، بأن تحسب الزكاة على الناتج حسب الأحكام السابق بيانها تفصيلا، ويقوم كل طرف بسداد حصته في الزكاة حسب المتفق عليه في توزيع صافي الناتج بينهما.

أحكام وحساب زكاة الأرض المؤجرة

أحيانا يقوم المالك بتأجير الأرض للغير لزراعتها نظير قيمة إيجارية محددة يحصل عليها نقدًا على دفعات أو دفعة واحدة بصرف النظر عن الناتج، ففي هذه الحالة، يكون حكم الزكاة كما يلي:

- بالنسبة للزارع المستأجر: يطبق عليه أحكام زكاة الزروع والثمار السابق بيانها.
- بالنسبة للمالك: يطبق عليه أحكام زكاة الثروة النقدية حيث يضم الإيجار المحصل نقداً إلى بقية أمواله النقدية، ويزكى الجميع بنسبة ٢,٥٪ إذا وصل النصاب في نهاية الحول.

أحكام وحساب زكاة نشاط مشروعات استصلاح الأراضي الزراعية:

يتمثل نشاط استصلاح الأراضي للزراعة: في تهيئة وإعداد أراضي غير قابلة للزراعة لأسباب الملوحة أو التصحر أو عدم الاستواء أو نحو ذلك إلى أرض معدة للزراعة ويستثمر في هذا النشاط أموالا كثيرة.

ويمر استصلاح الأراضي بعده مراحل من أهمها ما يلي:

- مرحلة التهيئة للزراعة: ففي هذه المرحلة لا تخضع الأموال المستثمرة في الاستصلاح للزكاة لأن عين الأرض وما يقام عليها من إنشاءات

ومرافق وخدمات من النفقات الرأسمالية (عروض القنية) التي لا تجب عليها الزكاة.

- مرحلة الإنتاج غير الاقتصادي: ففي هذه المرحلة تزيد النفقات ومصاريف الزراعة عن قيمة الناتج منها، ووفقًا لأحكام زكاة الزروع والثمار السابق بيانها، فلا يوجد وعاء للزكاة، بل سلبي، فلا تجب الزكاة.

- مرحلة الإنتاج الاقتصادي: ففي هذه المرحلة يخضع صافي الناتج للزكاة إذا وصل النصاب، وتطبق أحكام زكاة الزروع والثمار السابق بيانها.

ومما يجب التركيز عليه في هذا المقام هو أن قيمة الأراضي المستصلحة (ويمثل الثمن الأصلي لها مضافًا إليه نفقات الاستصلاح والمرافق ونحوها) لا يخضع للزكاة لأن ذلك من عروض القنية، وإذا تم بيع جزء من هذه الأرض، فإن ثمن البيع يضاف إلى الأموال النقدية في سنة بيعه ويزكي بنسبة ٢,٥ ٪، ويعامل معاملة المال المستفاد.

أحكام وحساب زكاة نشاط مشروعات مزارع إنتاج العسل

تقوم مشروعات مزارع إنتاج عسل النحل على شراء المناحل ووضعها في مزرعة أو قريبا من المزارع، ويهيأ المكان ليقوم النحل بشم الزهور والثمار ونحوها وانتاج العسل وهذا ما أشار إليه الله سبحانه وتعالى بقوله: « وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (النحل: ٦٨-٦٩).

ويخضع نشاط عسل النحل للزكاة لأنه من المستغلات التي تقوم على اقتناء عروض القنية (وهي النحل) بغرض تحقيق الكسب والإيراد، وهو العسل، ويحكم حساب تلك الزكاة الأسس الآتية:

(١) ليس على قيمة المنحل وملحقاته من التركيبات والمباني والمرافق والآلات والمعدات والأثاث والسيارات زكاة، لأنها من عروض القنية (أصول ثابتة)، والتي لا تخضع عينها للزكاة ولكن الذي يخضع هو ناتج استغلالها.

(٢) تجب الزكاة على قيمة الناتج من العسل خلال الحول سواء تم بيعه أو مازال موجوداً بالمخازن، ويقوَّم الأخير على أساس القيمة السوقية (سعر الجملة).

(٣) يطرح من قيمة الناتج النفقات والمصروفات الفعلية ومنها على سبيل المثال:

- نفقات ومصروفات المنحل من غذاء إضافي وأجور عمال وإيجار المكان ولوازم التعبئة والتغليف.
- أي ضرائب أو رسوم أو ديون مسددة.

(٤) يطرح كذلك النفقات الشخصية لصاحب المنحل إذا لم يوجد له مصدر آخر للإنفاق منه وكذلك الديون المسددة.

(٥) يتمثل وعاء الزكاة في الفرق بين قيمة الناتج والنفقات والمصروفات والديون المدفوعة.

(٦) يقاس نصاب العسل على نصاب عروض التجارة والمستغلات وهو ما يعادل ٨٥ جراماً من الذهب الخالص عيار ٢٤.

(٧) اختلف الفقهاء في سعر زكاة العسل: منهم من يرى ١٠٪ من إجمال الناتج الإجمالي، ومنهم من يرى ١٠٪ من الصافي بعد خصم النفقات والديون، ومنهم من يرى ٢,٥٪ من الصافي قياساً على زكاة المستغلات، والرأي الذي أخذت به الهيئة الشرعية العالمية للزكاة هو ١٠٪ من الصافي بعد خصم النفقات؛ لأن دور الإنسان في إنتاج العسل قليل وأنه هبة من الله عز وجل.

أحكام وحساب زكاة نشاط المشاتل ونباتات الزينة والفاكهة وما في حكم ذلك.

- تجب الزكاة في إنتاج الأرض من المشاتل ونباتات الزينة والفاكهة وغيرها مما يستنبت وله منفعة معتبرة شرعاً، إذا وصلت القيمة النقدية ما يعادل النصاب (٥ أوسق من أغلب الحبوب السائدة عند الحصاد) وتطبق أحكام زكاة الزروع والثمار السابق بيانها.

ومن أدلة خضوع هذه الأنواع من الإنتاج للزكاة عموم مضمون الآية الكريمة: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ »(البقرة-٢٦٧).

وهناك رأي يرى أن قيمة المخلفات لا تجب عليها الزكاة حيث يصعب بيعها أو إعطاء الفقراء منها، ولكن إذا بيعت وتحولت إلى قيمة أو كان لها قيمة بيعية، فليس هناك مخالفة شرعية لخضوعها للزكاة حيث تعتبر من المال المستفاد.

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

من أخلاق أهل القرآن

يتدبرون آياته

إعداد د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
فإن أهل القرآن لا يقتصرون على مجرد تلاوته، ولكنهم يتدبرونه ويُجْمِعُون فكْرهم وعقلهم في تأمل آياته وفهم معانيه فتفتح لهم كنوز السعادة والعلوم النافعة، ويثبت الإيمان في قلوبهم، ويعرفون ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويرون صورة الدنيا والآخرة، ويطالعون حال أهل السعادة والشقاوة؛ قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (النساء:٨٢).

قال ابن كثير-رحمه الله-: (يقول تعالى آمرًا لهم بتدبر القرآن وناهيًا لهم عن الإعراض عنه وعن تفهُّم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة، ومخبرًا لهم أنه لا اختلاف فيه ولا اضطراب ولا تعارض لأنه (تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (فصلت: ٤٢)، فهو حقٌّ).

وقال عز وجل: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ) (ص:٢٩).

قال الحسن البصري: "والله ما تدبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل)، وقال رحمه الله: (نزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تنثروا القرآن نثر الدقل، ولا تهزوه هزّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة). (أخرجه ابن أبي شيبة «٨٧٣٣»).

والقلوب المعرضة عن التدبر عليها أقفال أطبقت عليها فمنعتها من الفهم، قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤).

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها...)، ثم قال: (وبالجملة تعرفه الرب المدعو إليه وطريق الوصول إليه، وماله من الكرامة إذا قدم عليه، وتعرفه مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان والطريق الموصلة، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه، فهذه ستة أمور ضروري للعبد معرفتها).

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة... قال: فهو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب).

قال أبو عبد الرحمن السلمي: (أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجوزوهن إلى العشر الأخرى حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به، وسيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم، بل لا يجاوز ها هنا ووضع يده على حلقه).

من الوسائل المعينة على تدبر القرآن:

الرجوع إلى كتب التفسير وفهم السلف وعملهم بالقرآن.

تعلم اللغة التي نزل القرآن بها فإنه نزل بلسان عربي مبين.

استشعار عظمة القرآن فهو كلام الله وكتابه المبين ونور القلوب وشفاؤها.

أن يتمثل نفسه مخاطبًا بالقرآن، مقصودًا بالأمر والنهي، أتته رسائل من ربه وهو مطالب بفهمها والعمل بها.

القراءة بتمهل مع ترديد الآيات فلا يكون همه أن يختم السورة أو ينهي وِرْده، وإنما يُجيل فكره في المعاني.

التفاعل مع الآيات، فإذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ.

أن يقرأ وهدفه العمل بالآيات وأن يصلح بها نفسه وأن يغير من حاله إلى ما يحبه الله ويرضاه.

من هدى النبي صلى الله عليه وسلم في التدبر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة) (الترمذي ٤٤٨).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل في إبراهيم (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي) (إبراهيم: ٣٦) الآية، وقال عيسى عليه السلام: (إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (المائدة: ١١٨)؛ فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم، فسله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فسأله فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءُك. (صحيح مسلم ٢٠٢).

وقرأ عبد الله بن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم من سورة النساء إلى قوله تعالى: (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا) (النساء: ٤١)، قال: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. (صحيح البخاري ٤٥٨٢، ٥٠٥٠ وصحيح مسلم ٨٠٠).

من هدي السلف في التدبر:

-أبو بكر رضي الله عنه: قالت عنه عائشة (كان أبو بكر رجلا بكّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن). (متفق عليه).

-عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال عبد الله بن شداد بن الهاد: سمعت عمر رضي الله عنه يقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف فسمعت نشيجه وإني لفي آخر الصفوف وهو يقرأ (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (يوسف: ٨٦).

- تميم الداري رضي الله عنه: كرر هذه الآية حتى أصبح: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) (الجاثية: ٤).

- أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: قال عباد بن حمزة دخلت على أسماء رضي الله عنها وهى تقرأ (فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) (الطور: ٢٧)؛ فوقفت عندها فجعلت تعيدها وتدعو، فطال عليَّ ذلك، فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي تعيدها وتدعو.

- وكان الضحاك إذا تلا قوله تعالى: (لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ) (الزمر: ١٦) يرددها إلى السحر.

- وكان عمر بن ذر إذا قرأ (مالك يوم الدين) قال: يالك من يوم ما أملك ذكرك لقلوب الصادقين).

- وقال رجل لابن المبارك: قرأت البارحة القرآن في ركعة، فقال: لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يكرر (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ) (التكاثر: ١) إلى الصبح، ما قدر أن يتجاوزها- يعني نفسه.

سعيد بن جبير: كان يبكي بالليل حتى عمش، وسُمِعَ يردِّد هذه الآية: (وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) (البقرة: ٢٨١) بضعًا وعشرين مرة.

- مجاهد بن جبر: قال عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟

- وكان منهم من يتدبر القرآن ويردد آياته حتى عند احتضاره:

منهم أبو الدرداء قرأ عند احتضاره (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) (الأنعام: ١١٠).

وقرأ عمر بن عبد العزيز (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص: ٨٣).

وقرأ عاصم بن أبي النجود (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ) (الأنعام: ٦٢).

ونختم بوصية عظيمة للإمام نافع المدني؛ أحد القراء العشرة قال: (إن هذا القرآن لعظيم، جاء من عند عظيم، فإذا قرأت فلا تشتغلن بغيره، وانظر من تخاطب، وإياك أن تمل منه، أو تؤثر عليه غيره).

نسأل الله أن يرزقنا تلاوة القرآن وتدبره آناء الليل وأطراف النهار، والحمد لله رب العالمين.

التوحيد هو المنحة الكبرى

بقلم
د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن من نعمة الله الكبرى ومنحته العظمى أن جعل نعمة التوحيد هي أول واجب على العبيد، وهي أول ما يثبت للعبد به الإسلام، وهي آخر كلام للموفَّق من الأنام يخرج به من الدنيا، ومن ذلك ما اتفق عليه الشيخان ورواه الإمام مسلم بسنده.

الحديث:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ حَدَّثَنِي مَحْمُودُ بْنُ الرَّبِيعِ عَنْ عِتْبَانَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيتُ عِتْبَانَ فَقُلْتُ: حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ قَالَ: أَصَابَنِي فِي بَصَرِي بَعْضُ الشَّيْءِ، فَبَعَثْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- أَنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنِي فَتُصَلِّيَ فِي مَنْزِلِي فَأَتَّخِذَهُ مُصَلًّى قَالَ: فَأَتَى النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم- وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَخَلَ وَهُوَ يُصَلِّي فِي مَنْزِلِي وَأَصْحَابُهُ يَتَحَدَّثُونَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ أَسْنَدُوا عُظْمَ ذَلِكَ وَكُبْرَهُ إِلَى مَالِكِ بْنِ دُخْشُمٍ قَالُوا: وَدُّوا أَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ فَهَلَكَ، وَوَدُّوا أَنَّهُ أَصَابَهُ شَرٌّ فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- الصَّلاَةَ وَقَالَ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟». قَالُوا: إِنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ وَمَا هُوَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: «لاَ يَشْهَدُ أَحَدٌ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَيَدْخُلَ النَّارَ أَوْ تَطْعَمَهُ» قال أنس: فأعجبني هذا الحديث. فقلت لابني: اكتبه، فكتبه.

التخريج:

الحديث متفق عليه، والسياق السابق هو سياق الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان، وقد أخرجه البخاري في:

١- كِتَاب الرِّقَاقِ، بَاب الْعَمَلِ الَّذِي يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، برقم ٦٠٨٥.

٢- كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتاله، باب ما جاء في المتأولين برقم ٦٥٧٢.

٣- كتاب الأطعمة باب الخزيرة برقم ٥١٠٩ وباب برقم ٣٨١٨.

٤- كتاب التهجد باب صلاة النوافل جماعة

برقم ١١٤٥.

٥- كتاب الصلاة باب المساجد في البيوت برقم ٤١٧.

وأخرجه مسلم رحمه الله في موضعين واللفظ له في كتاب الايمان:

١- كتاب المساجد ومواضع الصلاة، بَابُ الرُّخْصَةِ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجَمَاعَةِ بِعُذْرٍ برقم ١٠٩٩.

٢- كتاب الايمان، بَابُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، برقم ٧٧.

المعنى العام:

حديث عتبان بن مالك الصحابي الجليل الأنصاري الخزرجي الذي شهد بدرًا، حدث بقوله صلى الله عليه وسلم «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه» وسمع بهذا الحديث محمود بن الربيع... فجاء إلى عتبان فقال له: بلغني عنك حديث وأحب أن أسمعه منك.

فأخذ عتبان يسوق الحديث بطوله، فقال ما شرحه مستفادًا من روايات الحديث الأخرى عند البخاري: كنت إمام قومي، أنتقل عند كل فريضة إلى مسجد محلتهم فأصلي بهم، فضعف بصري فأصبحت أتعثر في طريق المسجد، فأردت أن أعوض ما يفوتني من الصلاة في المسجد بالصلاة في مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله! قد أنكرت بصري، وأنا إمام قومي، فإذا كانت الأمطار وسال الوادي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني، فتخط لي مكانًا في بيتي فتصلي فيه، فأتخذه مصلى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سأفعل إن شاء الله.

فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر حين ارتفع النهار، وانضم إليهما في الطريق عمر، فلما وصلوا المنزل استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن عتبان بالدخول فدخلوا فلم يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل البيت، ولكنه قال: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ فقال عتبان: هنا، وأشار إلى ناحية منه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقام من حضر من الصحابة فصفوا، فكبر فصلى بهم ركعتين، ثم جلسوا يتحدثون وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي، فتناولوا بحديثهم مالك بن دخشم، وهو من قوم عتبان واتهموه بالنفاق كما في بعض روايات الحديث، وأنه ممن تولى كبره كما قال الله تعالى في المنافقين، ثم تناولوه فمن قائل: وددنا أن رسول الله دعا عليه فهلك، ومن قائل: وددنا أنه أصابه شر.

هذا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع، فلما قضى الصلاة قال: لا تقولوا هذا، ثم بيَّن رسول الله مكانة هذا الصحابي فقال صلى الله عليه وسلم: أليس يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله».

قال النووي رحمه الله: «وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ بْنَ دُخْشُمٍ هَذَا مِنَ الْأَنْصَارِ وذَكَرَ أَبُو عُمَرَ بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ اخْتِلَافًا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي شُهُودِهِ الْعَقَبَةَ. قَالَ: وَلَمْ يَخْتَلِفُوا أَنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاهِدِ. قَالَ: وَلَا يَصِحُّ عَنْهُ النِّفَاقُ، فَقَدْ ظَهَرَ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِه مَا يَمْنَعُ مِن اتِّهَامِه، ثم قال رحمه الله: وَقَدْ نَصَّ النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى إِيمَانِه بَاطِنًا وَبَرَاءَتِه مِنَ النِّفَاقِ بِقَوْلِه- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ- رَحِمَهُ اللَّهُ-.

أَلَا تَرَاهُ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى فَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَهُ بِأَنَّهُ قَالَهَا مُصَدِّقًا بِهَا مُعْتَقِدًا صِدْقَهَا مُتَقَرِّبًا بِهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَشَهِدَ لَهُ فِي شَهَادَتِه لِأَهْلِ بَدْرٍ بِمَا هُوَ مَعْرُوفٌ. فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُشَكَّ فِي صِدْقِ إِيمَانِه- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-. (شرحه على مسلم ج١ ص١٩٧-٢٠٠).

ثم بين صلى الله عليه وسلم بيانه العظيم منحة الله العظمى لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهو الشاهد والفائدة الكبرى من حديثنا الشريف؛ قال: «لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه النار».

وحدث محمود بن الربيع أنس بن مالك بهذا

الحديث فسُرَّ به واستبشر، وقال لابنه: اكتبه، فكتبه، فأخذ أنس يحدث به؛ فالحمد لله رب العالمين.

بعض ما يستفاد من الحديث مختصرًا:

١- مدى حرص الصحابة على تتبُّع الأحاديث والانتقال إلى راويها الأول لسماعها منه، وهو هدي السلف.

٢- جواز استدعاء المفضول للفاضل لمصلحة تَعْرِض.

٣- إجابة الفاضل دعوة المفضول، ومنه زيارة العلماء والفضلاء والكبراء أتباعهم، وأنه من دعي منهم أجاب إذا أمن من الفتن.

٤- استصحاب الزائر بعض أصحابه إذا علم أن المستدعي لا يكره ذلك.

٥- اجتماع أهل الجهة لملاقاة الإمام أو العالم إذا ورد منزل بعضهم ليستفيدوا منه.

٦- افتقاد من غاب عن الجماعة.

٧- ذكر مَن يُتَّهم بريبة أو نحوها للأئمة وغيرهم للتحرُّز منه، ولا يعد ذلك غِيبة.

٨- إن على الإمام أن يتثبت من ذلك، ويحمل الأمر فيه على الوجه الجميل.

٩- إن مَن نسب مَن يُظهر الإسلام إلى النفاق ونحوه بقرينة تقوم عنده لا يكفر بذلك ولا يفسق، بل يُعذر بالتأويل، وذلك كما كان من الصحابة رضي الله عنهم وصوَّب لهم النبي صلى الله عليه وسلم خطأهم.

١٠- فضل الذَّبِّ عمن ذُكِرَ بسوء وهو بريء منه في غيبته لا سيما لو كان غائبًا.

١١- جواز اتخاذ موضع معين في البيت للصلاة.

١٢- حُسن خُلقه صلى الله عليه وسلم وتواضعه مع جلالة قدره وعلو منزلته.

١٣- ويؤخذ من رواية البخاري من قوله: «قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي» جواز إمامة الأعمى.

١٤- وأنه كان في المدينة مساجد للجماعة سوى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٥- ويؤخذ من قوله في رواية البخاري أيضًا؛ فقام صلى الله عليه وسلم فكبر، فقمنا فصففنا، فصلى ركعتين ثم سلم يؤخذ من هذه الفقرة: جواز صلاة النافلة في جماعة.

١٦- وأن الإمام إذا زار قومًا أمَّهم.

١٧- يؤخذ من رواية البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله حرَّم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» الرد على غلاة المرجئة القائلين بأنه يكفي في الإيمان النطق من غير اعتقاد.

١٨- أنه لا يدخل النار من شهد أن لا إله إلا الله، ولبحثها صلة إن شاء الله تفصيلاً في حلقة تالية.

١٩- جواز كتابة الحديث وغيره من العلوم الشرعية، وأجيب عن النهي عن كتابة الحديث بأنه كان خوفًا من اختلاطه بالقرآن، ولئلا يتكل الصحابة على الكتابة، ويفرطوا في الحفظ مع التمكن منه. وكان بين الصحابة والتابعين خلاف في جواز كتابة الحديث، وكرهها كثير منهم، ثم استقر الإجماع وانعقد على جواز كتابته، بل على استحبابها، بل لا يبعد وجوبها على من خشي النسيان ممن يتعين عليه التبليغ. ولبحثها صلة إن شاء الله تفصيلاً في حلقة قادمة. وينظر (شرح النووي للحديث في شرحه على مسلم، وينظر: فتح المنعم على صحيح مسلم ج١ ص١٢٣)

وللبحث صلة إن شاء الله نفصِّل فيه ثلاث مسائل تتعلق بالحديث، وهي:

المسألة الأولى: فضْل كلمة التوحيد؛ وهل تكفي وحدها في دخول الجنة؟

المسألة الثانية: حُكْم اتِّخاذ الموضِع الذي صلَّى فيه النبيُّ صَلَّى الله عليه وسلَّم مُصَلًّى يُتَبَرَّكُ به؟

المسألة الثَّالثة: إجراءُ أحكامِ المسلمين على الظَّاهِر.

والحمد لله رب العالمين.

ورحل العلامة الفقيه عبد القادر ابن شيبة الحمد

إعداد د/ عبد الله شاكر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ومصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعدُ:

فقد كتب الله الفناء على كل حيّ، كما قال الله تعالى: « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » (الرحمن:٢٦-٢٧).

في ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك، انتقل من هذه الدنيا الفانية المربي الفاضل والعالِم الجليل شيخنا عبد القادر بن شيبة الحمد بن يوسف بن شيبة الحمد.

وقد وُلِدَ الشيخ-رحمه الله- في مدينة كفر الزيات بجمهورية مصر العربية في العشرين من شهر جمادى الآخرة عام ١٣٣٩هـ الموافق للثامن والعشرين من شهر فبراير ١٩٢١م، وقد عُرف عن شيخنا الحرص على طلب العلم وهو في سنّ مبكرة، حيث التحق بكُتَّاب القرية وهو في الخامسة من عمره، وتعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم كاملاً وهو في سن مبكرة، وقد التحق بالمعهد الأزهري، وبعد حصوله على الثانوية الأزهرية التحق بكلية الشريعة، وكان أحد ثلاثة طلاب اجتازوا العالمية من بين ثلاثمائة طالب، وبعد تخرُّجه عمل مدرسًا لمدة عشر سنوات في بعض المدن والقرى المصرية، وفي هذه الأثناء تعرف على دعوة أنصار السنة والتقى بقيادتها، وأُسند إليه الإشراف الدعوي على قطاع محافظة الشرقية، ثم رحل إلى المملكة العربية السعودية، وبعد وصوله عُيِّن مدرسًا بمعهد بريدة العلمي عام ١٣٧٦هـ، ودرَّس فيه لمدة ثلاث سنوات، ثم عُيِّن في عام ١٣٧٩هـ مدرسًا بكليتي الشريعة واللغة العربية بمدينة الرياض، وفي عام ١٣٨٢هـ بعد افتتاح الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية بعام واحد طلب سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز من سماحة العلامة محمد بن إبراهيم تكليف الشيخ عبد القادر بالتدريس في الجامعة الإسلامية، فعمل في كلياتها وفي قسم الدراسات العليا بها، وهناك تتلمذ وتخرج عليه آلاف الطلاب الذين انتشروا بعد ذلك دعاة في بلادهم وفي أنحاء العالم، وبقي يعمل في الجامعة الإسلامية إلى أن بلغ سن التقاعد عام ١٤٠٤هـ.

وكان الشيخ رحمه الله يلقي دروسًا علمية في المسجد النبوي على الكرسي الذي كان يجلس عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ عطية سالم، رحمهما الله، وكان درسه يؤمه طلاب العلم وزوار مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان يتناول قضايا عقدية وفقهية واجتماعية وأخلاقية من خلال تفسيره للقرآن الكريم، وقد أمَّ المصلين في محراب رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة التهجد في المسجد النبوي في شهر رمضان عامي ١٤٠٦، ١٤٠٨هـ، وكان الشيخ يهتم بنشر العقيدة السلفية ويدافع عنها، وكان يزور أحيانًا شيخي العلامة حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله في منزله.

وكان يحدث شيخنا في قضايا دعوية وعلمية، وكان يسمع أحيانًا قراءتي على شيخي حماد الأنصاري من كتاب موطأ الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى الليثي عنه، حيث كان يجتمع بعض طلاب العلم، ومنهم أساتذة في الجامعة ليسمعوا القراءة على الشيخ، وكنت في كل زيارة أقوم بها للرياض أزور الشيخ في المسجد الذي يصلي فيه، وفي كل لقاء يطلب مني كلمة أقولها للمصلين، فأقوم منفذًا طلبه، وكان يستضيفني في منزله على طعام العشاء.

أسأل الله أن يغفر له ويرحمه ويجمعنا به في أعلى عليين.

في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة (٨٢)

إعداد/ علي حشيش

٧٦٥- «ما رَاحَ عبدٌ في حجٍّ أو عمرةٍ يُهلُّ أو يُلَبِّي، إلاَّ ذَهَبَ الشَّمْسُ بجميعِ ذُنُوبِه».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح٢٤١٩- الغرائب الملتقطة) من حديث إسماعيل بن عياش، عن عبد العزيز بن عبيد الله، عن محمد بن المنكدر، عن سهل بن سعد مرفوعًا، وعلته عبد العزيز بن عبيد الله، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٥١١٦/٦٣٢/٢): «عبد العزيز بن عبيد الله بن حمزة بن صهيب واهٍ ضعَّفه أبو حاتم، وابن معين، وابن المديني، وما روى عنه سوى إسماعيل بن عياش». اهـ.

٧٦٦- «ثلاثٌ مَن فعلهنَّ فقد أَجْرَمَ، مَنْ عَقَدَ لواءً في غير حقٍّ، أو عَقَّ والديه، أو مَشَى مع ظالم ينصرهُ فقد أَجْرَمَ، يقول الله عزَّ وجلَّ: «إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ» (السجدة:٢٢)».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١/٢٠) (ح١١٢)، والثعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» (٣٠٢-٣٠١/٢١) من حديث معاذ بن جبل مرفوعًا، وعلته عبد العزيز بن عبيد الله، وقد بيَّنا آنفًا أنه واهٍ. وقال الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٤٠٤٤/٥١٤/١١): «قال أبو داود: ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بثقة ولا يُكتب حديثه». اهـ.

٧٦٧- «قال الله تعالَى، إذا أردت أن أخربَ الدُّنيا بَدَأْتُ بيتي فَخَرَّبْتُ، ثم أخربُ الدنيا على أثره».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٤٣/١) مرفوعًا، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «ليس له أصل».

٧٦٨- «التهجيرُ إلى الجُمعةِ حجُّ فقراءِ أُمتي».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٢٩٥- الغرائب الملتقطة) من حديث سهل بن أحمد الديباجي، عن محمد بن محمد بن الأشعث، عن موسى بن إسماعيل بن موسى مرفوعًا، عن أبيه، عن جده، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه، عن

جده، عن أبيه، عن عليّ مرفوعًا، وعلته سهل بن أحمد الديباجي، قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٣٥٦٨/٢٣٧/٢): «رُمِي بالأخوين: الرفض والكذب، رماه الأزهري وغيره». اهـ.

ونقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (١٣٩/٣) ما ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» في سهل بن أحمد الديباجي، وأقره ثم قال: «وقال ابن أبي الفوارس: كان رافضيًّا غاليًا». اهـ.

٧٦٩- «إنَّ للّهِ ملائكةً تَنْقلُ الأمواتَ».

الحديث لا يصح: أورده الحافظ السخاوي في «المقاصد» (ح٢٥٠) وقال: «لم أقف عليه». اهـ. ونقل عنه القاري في «الموضوعات» (ح٦٢)، وأقره.

٧٧٠- «الحجُّ والعمرةُ فريضتان واجبتانِ لا يَضُرك بأيهما بدأت».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٤٥١- الغرائب الملتقطة) من طريق الحاكم حدثنا إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني، حدثني جدي، حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن ابن المنكدر عن جابر مرفوعًا، وعلته جد إسماعيل وهو الفضل الشعراني؛ قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٧٤٧/٣٥٨/٣): «الفضل بن محمد البيهقي الشعراني، قال أبو حاتم: تكلموا فيه، وقال الحاكم: كان يرسل شعره؛ فسمي بالشعراني، وقد سُئل عنه الحسين القتاني: فرماه بالكذب، وعلة أخرى عبد الله بن لهيعة أورده الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» في المرتبة الخامسة (١٢) وقال: اختلط في آخر عمره وكثرت عنه المناكير في روايته ويدلس عن الضعفاء، وبيَّن الحافظ منهجه في كتابه «طبقات المدلسين» فقال: «الخامسة من ضعف بأمر آخر سوى التدليس فحديثهم مردود ولو صرحوا بالسماع». اهـ.

فكيف وابن لهيعة عنعن في هذا الحديث ولم يصرح بالسماع، وذكره في «أسماء المدلسين» رقم (٢٩) وقال: «عبد الله بن لهيعة؛ وضعف بالتدليس». اهـ.

٧٧١- رُوِيَ عن ابن عباس: «قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ»، قال: فَضْلُ الله محمد صلى الله عليه وسلم وَرَحمتُه عليٌّ».

الحديث لا يصح: وهو موقوف لفظًا مرفوع حكمًا؛ حيث إنه لا مجال للاجتهاد فيه فهو متعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وبثواب مخصوص وهذا الحديث أخرجه الحافظ الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٥/٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦٢/٤٢) من طريق: «محمد بن مروان السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس به».

ذكر الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (١٨١/١): «أمَّا أوهى أسانيد ابن عباس مطلقًا: فالسدي الصغير محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عنه». قال شيخ الإسلام: «هذه سلسلة الكذب لا سلسلة الذهب». اهـ.

قلتُ: والسيوطي يعني بشيخ الإسلام في الحديث (الحافظ ابن حجر).

فقه المرأة المسلمة

الحلقة الثالثة والعشرون

فقه المرأة في الجنائز

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: انتهينا بفضل الله تعالى من الأحكام المتعلقة بالمرأة في باب الصلاة، ونشرع -بإذن الله تعالى- في بابِ الجنائز، سائلين الله تعالى أن ينفع بها، ويجعلها في ميزان حسناتنا.

أولًا: يحرم على المرأة النياحة على الميت، ويجوز لها البكاء:

النياحة من أمور الجاهلية التي حرّمها الشرع، وهي اجتماع النساء للحزن، وقيل: هي رفع الصوت بالندب، والندب هو تعديد محاسن الميت مع البكاء. (المجموع ٥/٢٨٠).

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية، لا يتركوهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» (أخرجه البخاري ٣٨٥٠، ومسلم ٩٣٤).

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اثنتان في الناس هما بهم كُفر؛ الطعن في النسب، والنياحة على الميت». (رواه مسلم ٦٧).

أما البكاء على الميت: فيجوز من غير ندب ولا نياحة، وهو مذهب جمهور أهل العلم، وقد وردت عدة أحاديث بذلك، نذكر منها:

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

الله صلى الله عليه وسلم: «وُلِدَ لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي، إبراهيم، ثم دفعه إلى أم سيف، امرأة قين يقال له: أبو سيف، فانطلق يأتيه واتبعته فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره، وقد امتلأ البيت دخانًا، فأسرعت المشي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا أبا سيف أمسك، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسك، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بالصبي فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول، فقال أنس: لقد رأيته وهو يكيد بنفسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون» (أخرجه مسلم ٢٣١٥).

٢- عن أنس رضي الله عنه قال: شهدنا بنتًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر، قال: فرأيت عينيه تدمعان، قال: فقال: «هل منكم رجل لم يقارف الليلة؟» فقال أبو طلحة: أنا، قال «فأنزل» قال: فنزل في قبرها. (أخرجه البخاري ١٢٨٥).

قال ابن القيم في زاد المعاد (١/٢٢٥): "وسن الخشوع للميت والبكاء الذي لا صوت معه وحزن القلب، وكان يفعل ذلك صلى الله عليه وسلم ويقول:

«تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب». أخرجه مسلم (٢٣١٥). وسُن لأمته الحمد، والاسترجاع والرضا عن الله، ولم يكن ذلك منافيًا لدمع العين وحزن القلب.

قال ابن حزم في المحلى (٣٧١/٣): "والصبر واجب، والبكاء مباح، ما لم يكن نوح، فإن النوح حرام والصياح وخمش الوجوه وضربها وضرب الصدر ونتف الشعر وحلقه للميت كل ذلك حرام".

قال الزرقاني في شرح الموطأ (٨٨/٢): "أما دمع العين وحزن القلب فالسنة ثابتة بإباحة ذلك في كل وقت، وعليه جماعة العلماء، بكى صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم وعلى ابنته وقال: «هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده».

ثانيًا: هل يعذب الميت بالنياحة عليه؟

وردت عدة أحاديث في هذا الباب منها:

١- عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من يُنح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة» (أخرجه مسلم ٩٣٣).

٢- عن أبي مليكة قال: توفيت ابنة لعثمان رضي الله عنه بمكة، وجئنا لنشهدها وحضرها ابن عمر، وابن عباس رضي الله عنهما، وإني جالس بينهما أو قال: جلست إلى أحدهما، ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لعمرو بن عثمان: ألا تنهى عن البكاء؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» (أخرجه البخاري ١٢٨٦، ومسلم ٩٢٧).

٣- عن سعد بن الحارث الأنصاري، عن عبد الله بن عمر، قال اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه وجده في غشية، فقال: «أقد قضى؟» قالوا: لا يا رسول الله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رأى القوم بكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكوا، فقال: «ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا – وأشار إلى لسانه- أو يرحم» (أخرجه البخاري ١٣٠٤، ومسلم ٩٢٤).

هذه الأحاديث وغيرها تدل على تحريم النياحة والندب على الميت، ولكن هل يعذب الميت بالندب والنياحة عليه؟

للفقهاء في هذه المسألة أقوال عديدة، أشهرها ثلاثة أقوال:

الأول: إن الميت يعذب بالندب والنياحة عليه إذا أوصى أهله بذلك بعد موته؛ لأن الندب والنياحة كانت من عادة العرب، فهم يذكرون الأفعال التي هي عند الله ذنوب ويبكون لفقدها وهو يعذَّب نظير ما يبكيه به أهله، أما من لم يوص بذلك وناح عليه أهله فلا يعذب، واستدل بقول الله تعالى: «وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» (الأنعام: ١٦٤)، وهذا قول جمهور أهل العلم.

الثاني: إذا لم يوص الميت بترك الندب والنياحة، وأهمل ذلك فإنه يعذب بما ناح عليه أهله، واستدل بقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» (التحريم: ٦).

الثالث: أن الميت يُعذَّب بسماعه بكاء أهله ويرق لهم، وإلى هذا القول ذهب محمد بن جرير، والقاضي عياض وغيرهما.

أقوال أهل العلم في المسألة:

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٧٠/٣): "اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» فقال منهم قائلون: معناه أن يوصي بذلك الميت فيعذب حينئذ بفعل نفسه لا بفعل غيره، وقال آخرون: معناه أن يمدح الميت في ذلك البكاء بما كان يمدح به أهل الجاهلية أو نحوه من الفتكات والعذرات والغارات والقدرة على الظلم وشبه ذلك من الأفعال التي هي عند الله ذنوب فهم يبكونه لفقدها ويمدحونه بها وهو يعذب من أجلها.

وقال آخرون: في هذا الحديث وفي مثله: النياحة وشق الجيوب ولطم الخدود ونوع هذا من أنواع النياحة، وأما بكاء العين فلا.

وذهبت عائشة رضي الله عنها إلى أن أحدًا لا يعذب بفعل غيره وهو الأمر المجمع عليه لقول الله عز وجل: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ»".

جاء في شرح المهذب (٢٨٢/٥) بتصرف: "اختلف العلماء في أحاديث تعذيب الميت بالبكاء، فتأولها المزني وأصحابنا وجمهور العلماء على من وصى أن يبكى عليه ويناح بعد موته فنفذت وصيته فهذا

يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم لأنه بسببه ومنسوب إليه، قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه، فلا يعذب ببكائهم ونوحهم، لقوله تعالى: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» قالوا: وكان من عادة العرب الوصية بذلك.. وذكر جملة من أقوال العلماء ثم قال: والصحيح من هذه الأقوال ما قدمناه عن الجمهور، وأجمعوا كلهم على اختلاف مذاهبهم أن المراد بالبكاء بصوت ونياحة لا مجردًا مع العين، والله أعلم".

قال ابن حزم في المحلى (٣/٣٧٤): بعد أن ذكر حديث «إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه»: ولاح بهذا أن هذا البكاء الذي يعذب به الميت ليس هو الذي لا يعذب به من دمع العين وحزن القلب، فصح أنه البكاء باللسان، إذ يعذبونه برياسته التي جار فيها فعذب عليها وشجاعته التي يعذب عليها، إذ صرفها في غير طاعة الله تعالى، وبجوده الذي أخذ ما جاء به من غير حله ووضعه في غير حقه، فأهله يبكونه بهذه المفاخر وهو يعذب بها بعينها، وهو ظاهر الحديث لمن لم يتكلف في ظاهر الخبر ما ليس فيه".

قال الحافظ في الفتح (٣/١٨٥): "بعد أن ذكر أقوال العلماء، ويحتمل أن يجمع بين هذه التوجيهات فينزل على اختلاف الأشخاص بأن يقال مثلا: من كانت طريقته النوح فمشى أهله على طريقته أو بالغ فأوصاهم بذلك عُذِّب بصنعه، ومن كان ظالمًا فندب بأفعاله الجائرة عُذِّب بما ندب به، ومن كان يعرف من أهله النياحة فأهمل نهيهم عنها؛ فإن كان راضيًا بذلك التحق بالأول وإن كان غير راضٍ عُذِّب بالتوبيخ كيف أهمل النهي، ومن سلم من ذلك كله واحتاط فنهى أهله عن المعصية، ثم خالفوه وفعلوا ذلك كان تعذيبه تألمه بما يراه منهم من مخالفة أمره وإقدامهم على معصية ربهم، والله تعالى أعلم بالصواب.

تعقيب وترجيح:

بعد عرض أقوال الفقهاء يتبين أن الميت لا يُعذَّب بالبكاء الذي هو دمع العين كما ذهب إلى ذلك جمهور الفقهاء، أما النوح على الميت فالذي تطمئن إليه النفس وينشرح له الصدر ما ذهب إليه جمهور أهل العلم من أن الميت لا يُعذَّب بالنوح عليه ما لم يُوص بذلك ولم يتعمد إهمال الوصية بعدم النياحة عليه؛ لقوله الله تعالى: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» (الأنعام: ١٦٤)، والله تعالى أعلم.

ثالثًا: تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية والحلق عند المصيبة:

١- عن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»- أخرجه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).

٢- عن أبي بردة بن أبي موسى رضي الله عنه قال: «وجع أبو موسى وجعًا فغشي عليه، ورأسه في حجر امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئًا، فلما أفاق قال: أنا بريء ممن برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من الصالقة والحالقة والشاقة» (أخرجه البخاري ١٢٩٦، ومسلم ١٠٤).

الصالقة: التي ترفع صوتها بالبكاء، والحالقة: التي تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة: التي تشق ثوبها. (فتح الباري ٣/١٩٨).

قال المرداوي في الإنصاف (٢/٥٤٢): "ولا يجوز شق الثياب ولطم الخدود وما أشبه ذلك، من الصراخ وخمش الوجه ونتف الشعر ونشره وحلقه، قال جماعة منهم ابن حمدان والنخعي قال في الفصول: يحرم النحيب والتعداد والنياحة وإظهار الجزع".

جاء في المغني (٢/٣٤٤) بعد أن ذكر بعض الآثار.. قال: "وظاهر الأخبار تدل على تحريم النوح، وهذه الأشياء المذكورة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها في حديث جابر لقوله تعالى: «وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ» (الممتحنة: ١٢) قال أحمد: هو النوح، ولعن النبي صلى الله عليه وسلم النائحة المستمعة وقالت أم عطية رضي الله عنها: «أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيعة أن لا ننوح». متفق عليه.

وعن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس منا من ضرب الخدود..» وساق الحديث، قال: ولأن ذلك يشبه الظلم والاستغاثة والسخط بقضاء الله".

جاء في التمهيد (٤/٣٣٢): "قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النياحة نهيًا مطلقًا ولعن النائحة والمستمعة، وحرم أجرة النائحة".

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

نصائح وتوجيهات

الحمد لله، الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، شهادةً هي الذخر ليوم تجد فيه كلُّ نفس ما عملت، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، دعا إلى الملة الحنيفية سِرًّا وجهرا، حتى ظهرت وعزت وانتشرت، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه، والتابعين وَمَنْ تبعهم بإحسان، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

إعداد د: صالح بن عبد الله بن حميد
خطيب المسجد الحرام

أما بعد: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله، فاتقوا الله-رحمكم الله-، واجتنبوا صحبةَ مَنْ إذا ائتُمِنَ خَدَعَ، وإذا اطَّلَعَ على السر فَضَحَ، وإذا استغنى تَرَكَ، الناس لا توزن بأموالها ومناصبها، وإنما توزن بطيب قلوبها، وحُسْن منطقها، وجميل صنائعها، وغض الطرف عن نقائصها، وفضل الإنسان بما يَمنح لا بما يملك؛ يا أهلَ الإسلام، تراحموا ولا تختلفوا، وترفقوا ولا تَجْفُوا، مَنْ حَفِظَه الله من الفتن كان أطيب نَفْسًا، وأشرحَ صدرًا، وأخلف ظَهْرًا، (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (الْعَنْكَبُوت: ٦٩).

توجيهات للفوز بخيري الدنيا والآخرة

أيها المسلمون: مسئولية المسلم في هذه الحياة هي العملُ والجِدُّ، فمهما رأى في الزمن من قسوة، ومهما عانى في الظروف من شدة، فالحقُّ منصورٌ، والمؤمنون هم الأعلون، (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)(آلِ عمْرَانَ: ١٣٩)، فلا ينبغي للعبد أن يعطيَ الأحداثَ والمتغيراتِ أكثر مما تستحقُّ، كما لا ينبغي له أن يجعلها عائقا ولا صادًّا، والموفَّق هو مَنْ يرى في كل عقبة فرصة للإقدام، وفي كل معوِّق منطلَقًا إلى الجِد والتجديد، الجنة-أيها المؤمن- بين شُكْر سليمانَ وصبر أيوب-عليهما السلام-، وقد قال الله-عز وجل- في هذين النبيين الكريمين كليهما: (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)(ص: ٣٠)، لا تنظر مكانك عند الخَلْق، بل انظر أين مقامك عن الخالق، لا تحمل هم الدنيا،

فلله الآخرة والأولى، ولا تحمل هم الرزق، فهو عند الله، ولا تحمل هم المستقبل، فهو بيد الله، خُذْ بالأسباب واستَقِمْ كما أمِرْتَ، لا كما رغبتَ، لن يقاسمك الوجعَ صديقٌ، ولن يتحمل عنك الألمَ حبيبٌ أو طبيبٌ، اعتَنِ بنفسِكَ وقُمْ بمسئوليتكَ، ورزقك لا يأخذه غيرك واطمئن، وعملك لا يقوم به غيرُكَ فاجتَهِدْ، لا أحدَ يضع نفسَه مكانَكَ، فأنت المسئول عن أمرك وشأنك، واعلم أنه لن يكون للمؤثِّرات في الخارج أيُّ تأثير إلا إذا كان في الداخل قابلية، (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ)(الرَّعْد: ١١).

معاشر الأحبة: أما ميدان العمل وطريق الجنة فطويل واسع، وعريض مُيَسَّر، لا يُحَدُّ ولا يُحْصَرُ، فاعملوا فكلٌّ ميسَّر لِمَا خُلِقَ له، المساجد مؤسسات، والمؤسسات مساجد، والبيوت محاضن، والآباء والأمهات والمعلمون وأهل الفضل والمرشدون كل هؤلاء رموز وقدوات.

والعامل المصلح لا ينوب عن الأمة، ولكنه يتقدمها، والأعمال الصالحة لا ينتهي عدُّها، ولا يُحصى فضلُها، ولا يُدرَك أثرُها، بالوضوء تتحادَرُ الخطايا وتُضاعف الحسناتُ، وبالخطى إلى المساجد تُمحى السيئاتُ وتُرفع الدرجاتُ، "وبشِّر المشّائينَ في الظُّلَم إلى المساجد بالنور التامِّ يومَ القيامة، وانتظارُ الصلاةِ بعدَ الصلاة، فذلك الرباطُ".

اقْرَأْ وتَدَبَّرْ من الآيات ما تيسَّرْ، واجعل لكَ من أحاديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وِرْدًا ونصيبًا، لازِمْ حلَقَ العلم، أَعْطِ محرومًا، أَغِثْ ملهوفًا، بَرَّ والدًا، صِلْ رَحِمًا، صاحب تقيًا، سَدِّدْ أَخًا، زُر مريضًا، أدخل سرورًا، استر عيبا، انصر مظلوما، قَدِّمْ نصحا، أرشد ضالا، اسقِ ماءً، أمِطْ عن الطريق الأذى، تضرَّع إلى الله بالدعاء، الهج بالأذكار آناء الليل وأطراف النهار وفي الأسحار، كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أحيِ الحقَّ بفعله وذكره، وأمِتِ الباطلَ بالنَّهي عنه وتركه، اجتَنِبِ الجَدَلَ، اجعل ما يخرج منكَ شاهدًا لكَ لا شاهدًا عليكَ، كن مفتاحا للخير مغلاقا للشر، واعلم أن أول المعوقات وأشد المثبطات ما ينبع من النفس، وقد قال عز شأنه: (أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ) (آلِ عِمْرَانَ: ١٦٥).

ذم التحدث عن مسؤوليات الآخرين فقط

معاشر الأحبة: ما يراه المسلم عسيرًا فهو عند الله يسير، وما يراه كبيرا فهو عند الله صغير، وما يراه شديدا فهو عند الله هَيِّنٌ، فما على العبد إلا قرع الباب، فهو-سبحانه- يجبر بحكمته الكسيرَ، ويقوِّي بحكمته الضعيفَ، وعند الله ما خاب رجاءٌ، وما من شدة إلا ويعقبها رخاءٌ، والمولى إذا فَتَحَ أبوابَه فهو جزيل العطاء، والمؤمن لا ينقطع رجاؤه، ولو تكاثرت مظاهرُ اليأس ليقينه بحكمة الله وإن لم تدركها العقولُ، بل لقد قال بعضُ السلف: "لولا مصائبُ الدنيا لَوَرَدْنَا الآخرةَ مَفَالِيسَ".

معاشر المسلمين: وإذا كان الأمر كذلك فلمزيد من النظر والتأمل تأمَّلُوا فيمن يرى نفسَه أنه يحمل هموم أمته، وهو لا يتحدث إلا عن مسؤوليات الآخرين، الكبار منهم والصغار؛ وَمِنْ ثَمَّ تراه يُحَمِّلُهُمْ أسبابَ ما يراه هو من قصور أو أخطاء وهو في هذه الغمرة الغامرة، والنظرة القاصرة يغفُل عن الحقيقة الكبرى ومسؤولية شرعية عظمى؛ يغفُل عن مسؤوليته وواجباته وقدراته وإمكاناته ووسائله وأدواته، يغفُل كلَّ الغفلة فلا يدرك أن تفريط الآخرين أو تقصيرهم

لا يعفيه أو يعذره عن القيام بمسؤولياته وأداء واجباته، بل إنه من شدة غفلته وغلظ حجابه ينشغل بما لا يجب عليه، وما ليس بمسئولياته، ويفرِّط في مسؤولياته ويقصِّر في واجباته، كلكم راع وكلكم مسؤول على رعيته، وكلكم على ثغر.

ثم انظر وتأمَّلْ كيف تزداد عنده الغفلة ويشتد التقصير لينشغل هذا المبتَلى بالنزاعات والخلافات والمجادلات فهو بهذا ضائع مُضَيَّع.

يا عبد الله: أنتَ مسؤول عن تحرِّي الحقِّ، والسؤال عنه من الثقات الأثبات، واعلم أن انتشار الشيء وشيوعه وكثرة أخذ الناس به ليس مسوِّغًا لأن ترتكبه، وتجاري الناس فيه، أو تتهاون في طلب الحق وتحريه، لا تتساهل في متابَعة أدوات التواصل والمواقع وما تنضح به من مثبطات وتيئيسات وشكوك وشبهات ومشكلات، عليك بحفظ الوقت وأخذ النافع ولزوم العمل الصالح، الخصومات والمجادَلات التي تمتلئ بها الساحات لا ينبغي للمسلم أن يجري وراءها، أو يجعلها سُلَّمًا لينالَ من أعراض العلماء والمسؤولين وحقوقهم والقاء التَّبَعَة عليهم وحدَهم، فكل امرئ عليه مسؤوليته، غُلُوَّ بعض الناس أو تساهلهم أو تفريطهم لا يسوغ النَّيْل من الدِّين وأحكامه وأهله، والطريق الوسَطيّ معروف ظاهر، لمن صلحت نيته وحَسُن قصدُه وصلُح عملُه، وصحَّ على الله توكلُه.

وبعدُ عباد الله: حصانة الثبات الإيمان، والصبر والتوكل، وإن عِظَم الجزاء مع عظم البلاء، وما أجمل ما أوصى به الحبيبُ المصطفى-صلى الله عليه وسلم- عمَّه العباسَ بن عبد المطلب-رضي الله عنه- حين قال له: "يا عم، سَلِ الله العافيةَ في الدنيا والآخرة"، ومن عمل خيرًا فليشكر ليحصل له المزيدُ، ومن عمل سوءا فليستغفر وليتب، فالتوبة تَجُبُّ ما قبلها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(الْبَقَرَة: ٢١٤).

عظم الجزاء مع عظم البلاء

أيها المسلمون: إن ما يلاقيه المرءُ من شدائد وبأساء ومعاناة فإنها تُنسى كلُّها، فقد جاء في الحديث: "يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاس بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّة، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّة، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّه يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ".

دينُ الإسلام منتصر غالب رغم المحن

وما يُرى من تسلُّط الأعداء على هذا الدِّين في بعض الأزمان والبلدان وحرصهم على نشر باطلهم وظهوره فيظنون أنهم منتصرون إنما ذلك كله ليبتلي الله أهلَ الإيمان، وحينَها يعلم أهل الإيمان أنهم على الجادَّة ثابتون، وعلى طريق الجنة المحفوف بالمكاره سائرون، ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾(آلِ عِمْرَانَ: ١٤٠-١٤١).

ألا فاتقوا الله-رحمكم الله-، ثم صلوا وسلموا على الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبيكم محمد رسول الله؛ فقد أمركم بذلكم ربكم في محكم تنزيله فقال عز قائل كريما، في محكم تنزيله قولا كريما: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(الْأَحْزَاب: ٥٦).

باب الفقه

أحكام الصلاة

صلاة التطوُّع

الحلقة الرابعة

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:
ما يزال الحديث موصولاً عن صلاة التطوع، وقد ذكرنا فضلها وأنواعها، وتحدثنا عن السنن الرواتب المؤكدة المرتبطة بالصلوات الخمس القبلية والبعدية، ونكمل الحديث فيما بدأناه:

أداء السنن والنوافل في البيوت

الأفضل في عامة السنن والنوافل أداؤها في المَنْزِل، ووردت أحاديث كثيرة تدل على أن صلاة النافلة في البيوت أفضل من صلاتها في المساجد؛ منها ما صح عن زيد بن ثابت: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صَلُّوا أيها الناس في بيوتكم، فإنّ أفضل صلاة المرء في بيته إلاَّ المكتوبة». متفق عليه. وفي رواية مسلم: «فعليكم بالصلاة في بيوتكم، فإن خير صلاة المرء في بيته إلاَّ المكتوبة». وقد روى ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً». متفق عليه. وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته، فإنّ الله جاعل في بيته من صلاته خيراً». رواه مسلم. إذاً: جاءت السنة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في أحاديث عديدة بفضل الصلاة في البيت، وأنها أفضل من الصلاة في المسجد إلا المكتوبة؛ لأن صلاة الجماعة واجبة، ولا يجوز للإنسان أن يتخلف عنها، ولهذا قال: (إلا المكتوبة).

ومما يؤيد ذلك حديث عبد الله بن سعد الذي أخرجه الترمذي في الشمائل ولفظه قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما أفضل الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد؟ قال: ألا ترى إلي بيتي ما أقربه من المسجد فلأن أصلي في بيتي أحب إليَّ من أن أصلي في المسجد إلا أن تكون صلاة مكتوبة» رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألباني.

والحديث يدل على استحباب فعل صلاة التطوع في البيوت، وأن فعلها فيها أفضل من فعلها في المساجد، ولو كانت المساجد فاضلة كالمسجد الحرام ومسجده صلى الله عليه وآله وسلم ومسجد بيت المقدس. وقد ورد التصريح بذلك في إحدى روايتي أبي داود لحديث زيد بن ثابت فقال فيها: (صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة).

فائدة: قال الحافظ العراقي: هو في حق الرجال دون النساء، فصلاتهن في البيوت أفضل وإن أذن لهن في حضور بعض الجماعات، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح: (إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى

المسجد فأذنوا لهن وبيوتهن خير لهن)، والمراد بالمكتوبة هنا الواجبات بأصل الشرع وهي الصلوات الخمس دون المنذورة. (نيل الأوطار للشوكاني).

واستثنى العلماء من عموم أحاديث الباب عدة من النوافل؛ فقالوا: فعلها في غير البيت أفضل، وهي ما تُشرع لها الجماعة غير المكتوبة مثل: الكسوف، والعيدين، والاستسقاء، وغيرها، وتحية المسجد وركعتي الطواف وركعتي الإحرام.

وهذا مقتضى حديث عائشة رضي الله عنها؛ فإنها ذكرت فيه أنه صلى ذلك كله في بيته إلا الفرائض خاصة؛ فإنه كان يصليها في المسجد، وعلى هذا فالأصل في أفضلية التطوع أن يكون في البيت، وإيقاعها في المسجد لمقتض لذلك وعارض؛ مثل تشويش في البيت، أو ليسر في المسجد ونشاط وما شاكل ذلك. (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي).

ومثل ذلك: التراويح أيضاً فإنها تُشرع لها الجماعة في رمضان، وكون الإنسان يأتي ويصلي مع الناس صلاة التراويح أولى من كونه يصلي في بيته.

فائدة: قال النووي: اتفق العلماء على استحبابها قال: واختلفوا في أن الأفضل صلاتها في بيته منفردًا أم في جماعة في المسجد؛ فقال الشافعي وجمهور أصحابه وأبو حنيفة وأحمد وبعض المالكية وغيرهم: الأفضل صلاتها جماعة كما فعله عمر بن الخطاب والصحابة رضي الله عنهم، واستمر عمل المسلمين عليه؛ لأنه من الشعائر الظاهرة فأشبه صلاة العيد، وبالغ الطحاوي فقال: إن صلاة التراويح في الجماعة واجبة على الكفاية، وقال مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم: الأفضل فرادى في البيت؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة» متفق عليه.

والأفضل في صلاة النوافل عمومًا أن تكون في البيوت؛ لما في ذلك من الفوائد الكثيرة، ومنها:

أ- أنه أقرب إلى الإخلاص، ولذا فإن الأفضل للمصلي أن يُصلي السنن حيث لا يراه الناس. قال النووي: «إنما حثّ على النافلة في البيت؛ لكونه أخفى وأبعد من الرياء وأصون من محبطات الأعمال، وليتبرك البيت بذلك وتتنزل فيه الرحمة والملائكة وينفر منه الشيطان كما جاء في الحديث. (شرح النووي على مسلم ٦/٦٨).

وقال صلى الله عليه وسلم: «فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس، كفضل المكتوبة على النافلة». رواه الطبراني في الكبير، وهو في صحيح الترغيب.

ب- أن لا تُشبّه البيوت بالمقابر التي لا يُصلَّى فيها؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورًا» رواه البخاري ومسلم.

جـ- أن يكون الإنسان قدوة لأهل بيته، فيقتدي به الصبيان ويرونه يُصلي فيُصلون معه.

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبًا من صلاته، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرًا». رواه مسلم. (إتحاف الكرام بشرح عمدة الأحكام).

جواز صلاة التطوع من جلوس:

الأصل في صلاة الفريضة أنه لا يجوز الجلوس ولا الاضطجاع فيها إلا من ضرورة كمرض أو عجز، وأما في صلاة التطوع فيجوز الجلوس ويجوز الاضطجاع على خلاف فيه، سواء كانت هناك ضرورة أو لم تكن، إلا أن الأفضل في صلاة التطوع أن تُؤدّى كصلاة الفريضة بالقيام لمن قدر عليه؛ لأن المصلي إنما يبتغي الثواب فلا يحرم نفسه الأجر بصلاته جالساً أو نائماً. وإنَّ لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القُدوةَ الحسنة؛ فهو عليه الصلاة والسلام كان يحرص دائماً على صلاة التطوع قائماً، ولم يصلها جالساً إلا عندما كبر وضعف جسمه، والأصل في ذلك ما ثبت عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما بدَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وثقُل كان أكثر صلاته جالساً» رواه مسلم.

وعن حفصة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في سُبْحته قاعداً حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سُبْحته قاعداً، وكان يقرأ بالسورة فيرتّلها حتى

تكون أطولَ من أطولَ منها» رواه مسلم. قوله سُبْحته: أي تطوُّعه. وقد بلغ من حرصه عليه الصلاة والسلام على التطوع قائماً وهو في حالة ضعف أنه كان مع صلاته جالساً يصلي مرات أخرى قائماً يتحامل على نفسه، فعن عبد الله بن شقيق قال: «سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تطوُّعه، فقالت: «.. وكان يصلي ليلاً طويلاً قائماً وليلاً طويلاً قاعداً، وكان إذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ قاعداً ركع وسجد وهو قاعد..» رواه مسلم، وعلى ذلك يصح التطوع من قعود مع القدرة على القيام كما يصح أداء بعضه من قعود وبعضه من قيام، ولو كان ذلك في ركعة واحدة فبعضها يؤدَّى من قيام وبعضها من قعود سواء تقدم القيام أو تأخر كل ذلك جائز من غير كراهة. فقد روى مسلم عن علقمة قال: قلت: لعائشة: كيف كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعتين وهو جالس؟ قال كان يقرأ فيهما فإذا أراد أن يركع قام فركع. وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالساً فيقرأ وهو جالس، فإذا بقي من قراءته نحوٌ من ثلاثين آية أو أربعين آية قام فقرأها وهو قائم، ثم ركع ثم سجد، يفعل في الركعة الثانية مثل ذلك» رواه البخاري ومسلم.

فالمسلم بالخيار بين أن يصلي الركعة كلها جالساً، وبين أن يصليها جالساً وقائماً، كلا الفعلين نُقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وللمصلي أن يجلس كيف شاء والأفضل التربع لما رُوي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي متربعاً» رواه النَّسائي وابن حبَّان. وصححه الألباني. إلا أنه إن صلى مفترشاً أو متوركاً أو جالساً علي أي هيئة جاز، ولكن المستحب الجلوس متربعاً.

هل يجوز الاضطجاع في النافلة؟

الأصح جوازه، ودليل ذلك ما رُوي عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما أنه قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الرجل قاعداً، فقال: إن صلى قائماً فهو أفضل، ومن صلى قاعداً فله نصف أجر القائم، ومن صلى نائماً فله نصف أجر القاعد» رواه البخاري. وحمل أهل العلم هذا الحديث على صلاة النافلة والتطوع.

قال الشوكاني: والحديث يدل على جواز التنفل من قعود واضطجاع وهو المراد بقوله: (ومن صلى نائمًا)؛ قال الخطابي في معالم السنن: لا أحفظ عن أحد من أهل العلم أنه رخَّص في صلاة التطوع نائمًا كما رخَّصوا فيها قاعدًا؛ فإن صحت هذه اللفظة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم تكن من بعض الرواة مدرجة في الحديث قياسًا على صلاة القاعد أو اعتبارًا بصلاة المريض نائمًا إذا لم يقدر على القعود دلَّت على جواز تطوع القادر على القعود مضطجعًا، قال: ولا أعلم أني سمعت نائمًا إلا في هذا الحديث.

وقال ابن بطال: وأما قوله (من صلى نائمًا فله نصف أجر القاعد)؛ فلا يصح معناه عند العلماء؛ لأنهم مجمعون أن النافلة لا يصليها القادر على القيام إيماء، قال: وإنما دخل الوهم على ناقل الحديث، وتعقب ذلك العراقي فقال: أما نفي الخطابي وابن بطال للخلاف في صحة التطوع مضطجعًا للقادر فمردودٌ؛ فإن في مذهب الشافعية وجهين الأصح منهما الصحة. وعند المالكية ثلاثة أوجه حكاها القاضي عياض في الإكمال. أحدها الجواز مطلقًا في الاضطرار والاختيار للصحيح والمريض. وقد روى الترمذي بإسناده عن الحسن البصري جوازه فكيف يدعي مع هذا الخلاف القديم والحديث الاتفاق. (نيل الأوطار)

ومع أن صلاة التطوع يجوز الجلوس فيها ويجوز الاضطجاع، إلا أن المصلي جالساً له نصف أجر المصلي قائماً، والمصلي مضطجعاً أو نائماً له نصف أجر الجالس أو ربع أجر القائم، ودليل ذلك حديث عمران بن الحصين رضي الله عنهما السابق، ويُحمل هذا الحديث على المسلم القويِّ المعافى؛ وذلك لأن المريض إن عجز عن القيام سواء في صلاة الفريضة أو التطوع فصلى جالساً أو نائماً، فإن له الأجر كاملاً.

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يفقهنا في ديننا.

والحمد لله رب العالمين.

مهارات واجبة للدعاة

مهارة إدارة الاجتماع

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية المساعد
جامعة التضامن الفرنسية العربية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد :

فيمكن تعريف الاجتماع بأنه تَحدثُ فردين فأكثر في موضوع ما؛ بهدف اتخاذ قرار ما، أو تحليل مشكلة معينة. وتختلف اجتماعات العمل عن المناقشات والأحاديث العادية بين الأفراد، حيث تُعقد الاجتماعات لهدف محدد في موعد ومكان محددين مسبقًا. ويُخطط للاجتماعات-غالبًا- قبل فترة طويلة متفاوتة نسبيًا، قد تكون عدة ساعات، أو عدة أيام، أو عدة شهور، وقد يتم عقد الاجتماع في الحال لمواجهة مشكلة طارئة.

وتتصف بعض اجتماعات العمل بالرسمية الشديدة مثل: اجتماعات الجمعيات العمومية ومجلس الإدارة، وبعضها يتسم بشبه الرسمية مثل: الاجتماعات بين إدارتين من إدارات مؤسسة واحدة.

ما الفائدة المرجوة من الاجتماع؟

الاجتماع يُتيح تبادل الخبرات، أو نقل المعلومات، أو مناقشة الموضوعات من وجهات نظر مختلفة، أو اتخاذ قرارات تحتاج إلى أن يتفق عليها أكثر من فرد-وأحيانًا- أكثر من جهة.

وعندما يكون لدينا مشكلة ما في العمل- مثل عيوب في المنتج النهائي، أو انخفاض في الإنتاجية، أو تناقص في المبيعات- ونحاول الوصول إلى سبب المشكلة فإن عقد اجتماع بين الأطراف ذات الصلة بالموضوع لبحث الأسباب ومناقشتها يمثل وقتئذ أهم الأعمال.

أنواع الاجتماعات:

- اجتماعات لإعطاء المعلومات للآخرين.
- اجتماعات طلب المعلومات الدورية.
- الاجتماعات الخاصة بتبرير قرار مفاجئ.
- اجتماعات حل المشكلات والتفكير الإبداعي.
- الاجتماعات الخاصة باتخاذ قرار مستقبلي.

الأدوار والمسئوليات بالاجتماع:

رئيس الاجتماع:

هو من يدير الاجتماع، ويفصل بين الآخرين، ويقسم الوقت.

مسؤول ضبط الوقت:

هو من يضبط الوقت، ويوزع الوقت على الموضوعات الرئيسية فقط.

المسجل:

هو من يدون محضر الجلسة والقرارات، لا

المنازعات والمهاترات.

وهذه أمور يجب أن تتخذ قبل الاجتماع؛ منها التجهيز الإداري والتجهيز العلمي:

التجهيز الإداري:

أي مراجعة الأمور الآتية:

مكان الاجتماع ومساحته.. هل يتسع لهذا الاجتماع؟

تجهيز مكان آخر بديل، إن زاد عدد حضور الأعضاء.

تجهيز مائدة الاجتماع، وترتيب الجلوس عليها.

تجهيز ملف أمام كل عضو، موضوع بداخله جدول الأعمال، وورق أبيض لتدوين المناقشات.

تجهيز مائدة مستديرة؛ لكي لا يُعلم مَنْ رئيس الاجتماع؟ عند مناقشة أمور الإدارة العليا.

التأكد من تشغيل جهاز عرض البيانات والصوت.

ضرورة التأكد من أن الساعة الكبيرة بالغرفة تعمل بانتظام.

التجهيزات العلمية:

مطابقة المادة العلمية المجهزة على الموضوع المزمع نقاشه.

التأكد من صحة البيانات والإحصائيات.

مراجعة أقوال أعضاء مجلس الإدارة المستشهد بها قبل الجلسة.

تجهيز افتتاحية قصيرة تشتمل على أهمية الموضوع.

وهذا سؤال يجب الإجابة عليه من قبل المدير:

متى يصبح الاجتماع ضروريًا؟

الجواب - في الحالات التالية:

١- خطورة وتكلفة القرار الذي سيتم اتخاذه.

٢- وجود مشكلة، أو قضية تحتاج إلى رأي جماعي.

٣- وجود قضية، أو عدة قضايا تتطلب المتابعة والتقويم المستمرين.

٤- بروز ما يدعو لتغيير الوضع القائم وتطويره.

٥- الرغبة في تدريب أعضاء الاجتماع، وتنمية مهاراتهم السلوكية والفنية، أو تغيير قناعاتهم، واتجاهاتهم نحو أمر ما.

٦- الرغبة في تحقيق التعارف والتآلف بين أعضاء الاجتماع.

٧- التنسيق بين مهام ومسئوليات أعضاء الاجتماع.

كيفية إنجاح الاجتماعات:

النقاط العملية الآتية ستساعدك في أن تعقد اجتماعك بصورة أكثر فعالية ونجاحًا:

قبل الاجتماع:

١- قرر إذا كان الاجتماع ضروريًا أو لا؟

- هل من الممكن تحقيق الأهداف بصورة أكثر فعالية من خلال وسيلة أخرى غير وسيلة الاجتماعات؟

٢- حدد أهداف الاجتماع:

ما تنوي تحقيقه من الاجتماع.

القرارات التي يجب اتخاذها.

الخطوات التنفيذية التي يجب إجراؤها.

٣- أعد جدول الأعمال:

أدخل الموضوعات ذات العلاقة المباشرة بأهداف الاجتماع.

حاول أن تقلل من عدد الموضوعات المهمة التي يحتويها كل اجتماع؛ حتى يمكن تناولها بالشمول والعمق الكافيين.

رتب بنود جدول الأعمال؛ وَفقًا لأهميتها بحيث تجيء الموضوعات الأكثر أهمية أولًا.

اجمع بنود جدول الأعمال ذات العلاقة ببعضها في موضوع واحد.

حدد الوقت المسموح به لمناقشة كل بند من بنود جدول الأعمال.

٤- اجمع كل المعلومات والبيانات المتاحة ذات العلاقة ببنود جدول الأعمال، وحدد النقاط المهمة إذا كانت هذه المعلومات والبيانات كثيرة ومفصلة.

٥- وزع-مقدمًا- جدول الأعمال والوثائق الخاصة بالموضوعات التي ستُعرض للنقاش.

٦- اقتصر على الأفراد الذين لهم علاقة مباشرة بموضوعات الاجتماع.

أثناء الاجتماع:

١- وضح الهدف من الاجتماع.

٢- احصر الحاضرين والغائبين عن الاجتماع.

٣- عند البدء في مناقشة أي بند من بنود جدول الأعمال، افتح باب المناقشة باستدعاء إسهامات الأعضاء.

٤- أتح الفرصة للأعضاء الذين يملكون الإضافة والإسهام كيما يتحدثوا ويقدموا ما لديهم.

٥- وجِّه المناقشة؛ بهدف التأكد من أن الاجتماع يسير نحو تحقيق الأهداف المرسومة. وتقيد بالموضوعات المطروحة للنقاش، ووجه النقاش إذا ابتعد عن الموضوع، أو تطرق إلى تفاصيل غير ضرورية.

٦- لخص ما استمعت إليه من نقاط مهمة، إذا اتخذت المناقشة جانب التعقيد واختلاف وجهات النظر؛ وذلك لمراجعة فهمك وفهم الآخرين لما قيل.

٧- التزم بالزمن المحدد لكل بند من بنود جدول أعمال الاجتماع.

٨- عند الانتهاء من مناقشة كل بند من بنود الاجتماع، لخص القرارات أو النتائج التي تم التوصل إليها.

٩- لخص ما تم التوصل إليه في نهاية الاجتماع، وإذا كانت هناك خطوات تنفيذية معينة لا بد من اتخاذها، حدد من الذي يتخذها، والوقت الكافي لإنجازها.

١٠- حدد موعد الاجتماع المقبل وهدفه.

بعد الاجتماع:

١- أعِدَّ محضر الاجتماع، ووزِّعه على الذين حضروا والذين لم يحضروا، مراعيًا أن يكون المحضر بمثابة سجل دقيق لما دار في الاجتماع، وأن يشمل القرارات والتوصيات الصادرة عن الاجتماع، وتحديد إسنادات العمل، وأسماء الأشخاص الموكل إليهم هذه الإسنادات، والمواعيد النهائية لإنجازها، وسجل الموعد والزمن الذين تم تحديدهما لعقد الاجتماع المقبل.

٢- تابع وارصد ما تم إنجازه من أعمال.

كيف تستفيد من مشاركتك في الاجتماعات التي يعقدها الآخرون وتُدعى لها؟

قبل الاجتماع:

١- اقرأ جدول الأعمال وملخصات الأوراق، وكن متأكدًا من فهمك لأهداف الاجتماع، وأعطِ اهتمامًا لبنود جدول الأعمال المسندة إليك بصورة مباشرة.

٢- فكِّر في القضايا التي يمكن أن تُثار، وخطِّط للإسهامات التي يمكن أن تقدمها للاجتماع.

٣- اصطحب معك المعلومات والبيانات ذات العلاقة بموضوعات الاجتماع.

أثناء الاجتماع:

١- احرص على أن تجلس بهدوء، وأن تُنصت لما يقوله الآخرون. وتحدث عندما يطلب منك الحديث، أو حين تريد أن تستوضح أمرًا، أو عندما تشعر بأن لديك إسهامًا جيدًا.

٢- دوِّن ملاحظاتك حول القرارات وإسنادات العمل التنفيذية التي يتم اتخاذها، خاصة تلك المتعلقة بك.

بعد الاجتماع:

١- اقرأ محضر الاجتماع، وأعطِ اهتمامًا خاصًا للمهام التي تتطلب منك اتخاذ خطوات تنفيذية، أو أداءً معينًا من جانبك.

٢- أعد خُطة عمل، وحدِّد فيها ما يجب عليك أن تقوم به، وضع جدولًا زمنيًا للتنفيذ، ثم تابع مدى تقدم التنفيذ بالمقارنة بالخطة.

ولسائل أن يسأل: لم نحن متأخرون ونحن نجتمع كثيرًا ونتفاوض كثيرًا في حين تعود الأمور سيرتها الأولى؟

من سمات الاجتماعات الفاشلة

أمور تتم قبل الاجتماع:

أ- دعوة عدد كبير من الحاضرين، ربما يصل إلى الثلاثين أو الأربعين. ويزيد الأمر سوءًا عندما تكون غرفة الاجتماعات غير مجهزة لاستقبال هذا العدد.

ب- عدم وضوح الهدف من الاجتماع والموضوعات التي ستناقش، والقرارات المطلوب اتخاذها.

ج- عدم التحضير الجيد للاجتماع بقراءة تقارير وافية، وعدم الوقوف على الحقائق القاطعة؛ مما يؤدي إلى اعتماد الاجتماع على المهاترات والصوت المرتفع، وكذلك الاستماع- لأول مرة- للحقائق في الاجتماع.

د- عدم توفر الأدوات المساعدة للاجتماعات في غرفة الاجتماعات مثل: عارض البيانات وشاشة، أو سبورة وأوراق، أو تنسيق توزيع المهام داخل الاجتماع.

أمور عند بداية الاجتماع:

أ- عدم احترام ميعاد الاجتماع.. حيث يبدأ الاجتماع بعد موعده بربع أو نصف ساعة، ويتوافد الحاضرون تباعًا، في حين يحضر الداعي للاجتماع (منظم الاجتماع) متأخرًا!

ب- عدم وضوح الهدف من الاجتماع؛ فتجد همهمة بين الحاضرين يتساءلون لماذا عُقد هذا الاجتماع؟ ولا يعرفون الإجابة.

ج- توجيه المناقشة بالتلميح إلى القرار الذي يريد المدير اتخاذه قبل مناقشة الحقائق (مثال: الاجتماع اليوم لكي نوافق على قرار إنشاء المبنى الجديد أو لكي نوافق على إثابة فلان... وهكذا).

د- عدم حضور أشخاص لهم دور أساسي في موضوع الاجتماع. وعدم حضور هؤلاء الأشخاص قد يكون نتيجة عدم دعوتهم أصلًا، أو نتيجة عدم اهتمامهم بالحضور، أو نتيجة تعمدهم عدم الحضور؛ لكي يفشل الاجتماع.

أولا: الحوار واتخاذ القرار:

- خروج عن موضوع الاجتماع إلى موضوعات فرعية أو خارجية تمامًا، واستعذاب التحاور فيها!

- الدخول في تفاصيل دقيقة مثل: مراجعة الحسابات والأرقام؛ ومن ثَم فُقدان التركيز على الهدف الأصلي للاجتماع.

- عدم تشجيع لغة الحوار والمناقشة والحقائق والاحترام المتبادل، فتجد هذا يوبِّخ ذاك، وذلك يتهكم بآخر.

- المزاح والضحك الزائد (التهريج) خلال الاجتماع بالنكات الكثيرة.

- عدم السماح للحاضرين بعرض الحقائق بشكل مرتب، ومقاطعتهم بالأسئلة والمهاجمة.

- مهاجمة الشخص الذي يقوم بعرض الموضوع والاعتراض على ترتيب أفكاره في عرضه للموضوع؛ مما يجعله غير قادر على إكمال الشرح.

- تَنَاقُش مَن لا يَعرف مع مَن لا يَعرف عما لا يَعرفون.

- عدم السيطرة على الاجتماع، وعدم منع من يريد تفشيل الاجتماع من تنفيذ مخططه.

- قيام المستمعين بالشرح الجانبي لبعضهم.

- التحدث عن مشروعات كبيرة، وموضوعات عظيمة، ثم لا يتم تنفيذ أي خطوات منها.

- شخص واحد يتكلم «المدير» والباقون يصدقون على كلامه، وتحول الاجتماع الذي يفترض أن تُناقش فيه حقائق ومعلومات إلى محاضرة في مبادئ الحياة والعمل يلقيها كبير الاجتماع.

- سيطرة المصالح الشخصية على مناقشات الاجتماع.

ثانيًا: أمور تنظيمية تسهم في فشل الاجتماع:

- السماح للحاضرين باستخدام التليفون المحمول داخل غرفة الاجتماعات، وهذا أمر يزيد سوؤه عند وجود عدد كبير من الحاضرين.

- التدخين داخل غرفة الاجتماعات.

- السماح بهبوط لغة الحوار.

- دخول وخروج الحاضرين من الاجتماع وإليه.

- استدعاء أشخاص لحضور الاجتماع، بعد بدء الاجتماع بمدة طويلة.

نهاية الاجتماع:

أ- طول زمن الاجتماع ربما لساعات.. لأسباب غير منطقية.

ب- عدم الانتهاء بقرارات واضحة، فتجد الاجتماع ينتهي وكلٌ يمضي في سبيله، ولا يدري أحد هل تم اتخاذ قرار أم لا؟

ما بعد الاجتماع:

- الكل مستاء ومتململ.

- الأمور لا تتحسن.. لا أحد يفعل شيئًا.

- تكرار الأخطاء نفسها في كل اجتماع.

- أحاديث جانبية فارغة من بعض الأشخاص لا جدوى منها ولا طائل من ورائها.

وأخيرًا نسال الله تبارك وتعالى أن يشرح صدورنا وأن ينعم علينا بتقبل الرأي الآخر. هذا وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

واحة

من نور كتاب الله

أهمية العلم
في الدعوة إلى الله

قال تعالى: "قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ" (يوسف: ١٠٨)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحذيره من فتن الدنيا

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الدنيا حلوة خَضِرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء» (صحيح مسلم).

فائدة لغوية

ما الفرق بين الكآبة والحزن؟

الكآبة: تظهر على الوجه.

والحزن: يكون مضمرًا بالقلب.

أعاذنا الله وإياكم من كل شرّ.

من أقوال السلف

قال عبد الله بن مسلم بن قتيبة: "من أراد أن يكون عالمًا فليطلب فنًّا واحدًا، ومن أراد أن يكون أديبًا فليتفنَّن في العلوم" (العقد الفريد)

من حكمة الشعر

قال أبو العتاهية في عدم الاغترار بالدنيا:

هي الدنيا؛ إذا كملت... وتمَّ سرورها خذلت

وتفعل في الذين بقوا... كما في مَنْ مضى فعلت

(العقد الفريد)

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من دلائل النبوة

نبع الماء من بين أصابعه

عن أنس بن مالك كان نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالزوراء- قال: والزوراء بالمدينة عند السوق والمسجد فيها ثمة- دعا بقدح فيه ماء، فوضع كفه فيه «فجعل ينبع من بين أصابعه، فتوضأ جميع أصحابه» فسُئِلَ: كم كانوا يا أبا حمزة؟ قال: «كانوا زهاء الثلاثمائة» (صحيح مسلم).

من فضائل الصحابة

فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه

عن سعد بن أبي وقاص، قال: خلَّف رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تُخلِّفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» (صحيح مسلم)

من معاني الأحاديث

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبغضكم إليَّ الثرثارون المتفيهقون»: وهم الذين يكثرون الكلام تكلفًا وخروجًا عن الحقِّ. والثرثرة: كثرة الكلام وترديده. (النهاية لابن الأثير).

حِكَم ومواعظ

قال بكر بن عبد الله: "اجتهدوا في العمل، فإن قَصُرَ بكم ضَعْفٌ؛ فأمسكوا عن المعاصي"

(العقد الفريد).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

"لا تُسكنوهن الغرف، ولا تُعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل وسورة النور" (موضوع)، والثابت عنه صلى الله عليه وسلم تعليم النساء الكتابة؛ حيث وصَّى حفصة رضي الله عنها تعليم الشفاء بنت عبد الله الكتابة. (السلسلة الضعيفة للألباني).

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص (١١٤)

حجاب المرأة المسلمة (٢٤)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

وبعد نواصل حديثنا بإذن الله تعالى عن أدلة الحجاب من القرآن والسنة، وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، ووصلت في أدلة السنة إلى الحديث التاسع عشر؛ وهو حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا التي أسأم؛ فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو» (متفق عليه).

وذكرت أن الحديث يحتج به من يقول بوجوب النقاب؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بردائه.

يقول الحافظ ابن حجر: قولها: «يسترني بردائه» يدل على أن ذلك كان بعد نزول الحجاب، ويدل على جواز نظر المرأة إلى الرجل، وأجاب بعض من منع بأن عائشة كانت إذ ذاك صغيرة» (انظر فتح الباري ١/ ٥٥٠).

قلت: لكن يرد على الاستدلال بالحديث أن العلماء اتفقوا على أن في قوله تعالى: (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ) (الأحزاب:٥٣) هو لأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، ولا خلاف في ذلك، وإنما الخلاف في دخول غير أمهات المؤمنين فدخولهن ليس بالأمر الصريح المباشر كما هو حال أمهات المؤمنين، وإنما هو الاستدلال غير المباشر بجامع العلة المذكور في الآية في قوله تعالى بالقياس: «ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ »(الأحزاب:٥٣).

الحديث العشرون:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قَدِمَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم المدينةَ،

وهو عروسٌ بصفيةَ بنتَ حُيَيٍّ، جئْنَ نساءُ الأنصار فأخبَرْنَ عنها، قالت: فتنكَّرت، وتَنَقَّبَتْ، فذهبتُ، فنظرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى عيني فعرفَني، قالت: فالتفتُ فأسرعْتُ المشْيَ، فأدركَني فاحتضَنَني، فقال: كيف رأيت؟ قالت، قلتُ: أرسلْ يهوديَّةً وسْطَ يهودياتٍ. (سنن ابن ماجه ١٩٨٠).

فيه ثلاث علل: عليّ بن زيد بن جدعان ضعيف (انظر ترجمته في تهذيب الكمال ٤٣٤/٢٠ ت ٤٠٧٠ المغني في الضعفاء ٤٤٧/٢ت ٤٢٦٥ تقريب التهذيب ٤٠١/١ ت ٤٧٣٤)، وغيرهم من المراجع، كما أن في سنده: أم محمد وهي زوجة والد علي بن زيد بن جدعان (انظر تهذيب الكمال ٤٣٦/٢٠ واسمها: أمية بنت عبد الله انظر لابن كثير ٢١٣/٤-٢١٤)؛ قال عنها الذهبي: تفرد عنها علي بن زيد بن جدعان (انظر ميزان الاعتدال ٦٠٤/٩ت ١٠٩٣٨) فهي مجهولة.

وفي السند أيضًا مبارك بن فضالة؛ قال عنه الحافظ ابن حجر: صدوق ويدلس ويسوي. (انظر تقريب التهذيب ت ١٤٦٤).

وأخرجه من طريق آخر فقال: أخبرنا محمد بن عمر حدثني عبد الله بن أبي يحيى عن بثينة بنت حنظلة عن أمها أم سنان الاسلمية قالت: « لَمَّا نَزَلْنَا الْمَدِينَةَ لَمْ نَدْخُلْ مَنَازِلَنَا حَتَّى دَخَلْنَا مَعَ صَفِيَّةَ مَنْزِلَهَا، وَسَمِعَ بِهَا نِسَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ فَدَخَلْنَ عَلَيْهَا مُتَنَكِّرَاتٍ، فَرَأَيْتُ أَرْبَعًا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَنَقِّبَاتٍ: زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، وَحَفْصَةَ، وَعَائِشَةَ، وَجُوَيْرِيَةَ، فَأَسْمَعُ زَيْنَبَ، تَقُولُ لِجُوَيْرِيَةَ: يَا بِنْتَ الْحَارِثِ، مَا أَرَى هَذِهِ الْجَارِيَةَ إِلا سَتَغْلِبُنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ جُوَيْرِيَةُ: كَلا، إِنَّهَا مِنْ نِسَاءٍ قَلَّ مَا يُحْظَيْنَ عِنْدَ الأَزْوَاجِ » الحديث انظر الطبقات الكبرى ١٢٦/٨، وأخرجه ابن سعد في الطبقات. انظر الطبقات ١٢٥/٨.

وأخرجه عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: « لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْبَرَ وَمَعَهُ صَفِيَّةُ أَنْزَلَهَا فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، فَسَمِعَ بِهَا نِسَاءُ الأَنْصَارِ وَبِجَمَالِهَا فَجِئْنَ يَنْظُرْنَ إِلَيْهَا، وَجَاءَتْ عَائِشَةُ مُتَنَقِّبَةً حَتَّى دَخَلَتْ عَلَيْهَا فَعَرَفَهَا، فَلَمَّا خَرَجَتْ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى أَثَرِهَا، فَقَالَ: « كَيْفَ رَأَيْتِهَا يَا عَائِشَةُ »، قَالَتْ: رَأَيْتُ يَهُودِيَّةً، قَالَ: « لا تَقُولِي هَذَا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهَا قَدْ أَسْلَمَتْ فَحَسُنَ إِسْلامُهَا » (انظر الطبقات الكبرى١٢٦/٨).

قلت وفيه: محمد بن عمر الواقدي وهو متروك، وإرسال عطاء بن يسار، فالحديث ضعيف سندًا كما رأينا. انظر السلسلة الضعيفة للألباني، وكذلك في سنن ابن ماجه ١٩٨٠. وقد قوى هذا الحديث الشيخ التويجري في الصارم بشاهد المرسل عن عطاء، ثم قال في استدلاله بالحديث: «والمقصود من حديث عائشة رضي الله عنها..... تستر نساء الصحابة عن الرجال الأجانب وتغطيتهن وجوههن عنهم، وأن هذا كان مشروعًا، ولهذا لما جاءت عائشة رضي الله عنها لتنظر إلى صفية جاءت في صورة امرأة أجنبية لتخفي نفسها عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فعرفها النبي صلى الله عليه وسلم بعينها، ولما انصرفت لحقها فسألها عن صفية، ولم ينكر عليها تغطية وجهها والتزي بزي المرأة الأجنبية (انظر الصارم المشهور ص ٨٩).

قلت: أولا الحديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج به. ثانيًا: الحديث عن نقاب أم المؤمنين عائشة وبعض أمهات المؤمنين اللواتي جئن لرؤية صفية رضي الله عنها، ولم يذكر فيه شيء عن ملبس غيرهن، وكون أم المؤمنين عائشة تنكرت

بالنقاب فليس المقصود أنها ارتدت النقاب حتى لا تُعرف؛ فالنقاب فرض عليها، وإنما يحمل تنكرها على غير هيئتها وتغير زيها المعهود بزي آخر حتى لا يعرفها النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه عرفها من عينيها.

وقوله: «لم ينكر عليها تغطية وجهها» كيف ينكر عليها ما هو فرض لازم عليها، وذكر طريقًا أخرى له أخرجها ابن سعد في الطبقات.

الحديث الحادي والعشرين

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ نَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ بَصُرَ بِامْرَأَةٍ لَا نَظُنُّ أَنَّهُ عَرَفَهَا، فَلَمَّا تَوَجَّهْنَا الطَّرِيقَ وَقَفَ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْهِ؛ فَإِذَا فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَا أَخْرَجَكِ مِنْ بَيْتِكِ يَا فَاطِمَةُ؟ قَالَتْ: أَتَيْتُ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ فَرَحَّمْتُ إِلَيْهِمْ مَيِّتَهُمْ وَعَزَّيْتُهُمْ، فَقَالَ: لَعَلَّكِ بَلَغْتِ مَعَهُمُ الْكُدَى؟ قَالَتْ: مَعَاذَ اللهِ أَنْ أَكُونَ بَلَغْتُهَا مَعَهُمْ، وَقَدْ سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ فِي ذَلِكَ مَا تَذْكُرُ. قَالَ: لَوْ بَلَغْتِهَا مَعَهُمْ مَا رَأَيْتِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَرَاهَا جَدُّ أَبِيكِ». (مسند أحمد وسنن أبي داود والنسائي وغيرهم).

قلت: الحديث مداره على ربيعة بن سيف المعافري قال في تقريب التهذيب: له مناكير ت ١٩٠٦، قال البخاري: عنده مناكير، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال الدارقطني: مصري صالح، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال يخطئ كثيرًا، وقال ابن يونس: في حديثه مناكير. وقال العجلي: ثقة، وقال البخاري في الأوسط: روى أحاديث لا يُتابع عليها. وقال النسائي في السنن: ضعيف النظر (تهذيب التهذيب ٣/٢٥٥- ٢٥٦).

قلت: وقد تفرد برواية هذا الحديث، وحاله لا يحتمل تفرده، والحديث أخرجه ابن حبان ح ٣١٧٧ وابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/٩٠٣، وقال: هذا حديث لا يثبت، وأورده من طريق فيها متابع لربيعة بن سيف المعافري، وهو شرحبيل بن شريف لكن فيها مجاهيل فلا تصلح كشاهد بقول رواية المعافري، وصححه الحاكم على شرط الشيخين ووافقه الذهبي مع أن ربيعة بن سيف ابن مانع لم يُخرِّج له الشيخان ولا أحدهما، وضعَّف الحديث النسائي في السنن، وقال: ربيع ضعيف ح ١٨٨٠، والأرناؤوط في مسند أحمد ح٦٥٧١، والألباني في التعليقات الحسان ح ٣١٦٧، وسنن أبي داود ح ٥٦٠ وفي الضعيفة ١٤/١٣١، قال: هو منكر جدًا عندي. قلت: ومتن الحديث في نكارة لهذا الوعيد الشديد بعدم دخولها الجنة لو زارت المقابر، وزيارة المقابر للنساء فيها خلاف بين أهل العلم، والراجح جوازها بضوابط؛ لعلي أعود إلى تحرير هذه المسألة.

وللحديث بقية

والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى الشيخ مُحمد رزق سَاطُور، في مكة المكرمة بعد أدائه للعمرة، واعتكافه في المسجد الحرام، وذلك في يوم الأربعاء ٩ من شوال ١٤٤٠ هـ، ودُفن في مكة المكرمة.

وكان الشيخ رحمه الله رئيسًا لفرع أنصار السنة المحمدية بترعة غنيم شربين، بمحافظة الدقهلية، وعضوًا بمجلس إدارة المركز العام.

فنسأل الله العلي القدير أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يرزقه الفردوس الأعلى، آمين يا رب العالمين.

رئيس التحرير

فقر المشاعر

الأسباب المعينة على الارتقاء بالمشاعر

إعداد د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فقد ذكرنا فيما سبق أن هناك أسبابًا عديدة تُعين على إحياء المشاعر، والارتقاء بها، وتعين في الوقت نفسه على قطع دابر الجفاء، وإزالة علله وأدوائه، ومن ذلك:

استعمال الثناء الصادق المعتدل:

الثناء الصادق المعتدل مما يشعر الإنسان بقيمته، ويهزّه إلى المكارم هزًا؛ فيقوده إلى الصفح، والعفو، وإحسان الظن، والبذل.

كما أنه دليل على كرم سجية المُثْني، وعلى بعده عن الأثرة والشحّ؛ فهو من قبيل الكلمة الطيبة، والكلمة الطيبة صدقة.

كما أن له ارتباطاً بخلق كريم ألا وهو الاعتراف للمحسن، وعدم غمطه حقه.

ولا ريب أن هذه المعاني من أعظم ما يرتقي بالمشاعر، وينهض بالهمم، ويحفظ للناس أقدارهم، وينأى بهم عن السفاسف والمحقرات.

بل إن كرام الناس إذا مُدحوا أبت لهم هممهم أن يكونوا دون ما مدحوا به.

بل إن الثناء الصادق مما تنشرح له صدور العظماء، ويشعرهم بصواب ما هم عليه، ويقودهم إلى مزيد من الخير والإحسان، ويسدّ عليهم باب الكسل الذي يواجههم به المخذِّلون، والمبالغون في النقد.

ولهذا سلكت هداية القرآن الكريم هذا المسلك؛ فكم هي الآيات التي ورد فيها الثناء من الرب الكريم-جل وعلا- على بعض عباده الصالحين؟

إنها كثيرة جدًا، منها قوله تعالى في الثناء على نوح عليه السلام: (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا). (الإسراء: ١٧).

وقوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ) (هود: ٧٥).

وقوله في حق نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم-: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم:٤).

أما السنة النبوية فحافلة بهذا المقام؛ ولو ألقيت نظرة في دواوينها، وفي كتب المناقب منها على وجه الخصوص لرأيت عجباً، وإليك

هذين المثالين فحسب:

جاء في صحيح البخاري عن عمرو بن تغلب أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أتى بمال، أو بسبي فقسمه، فأعطى رجالاً وترك رجالاً، فبلغه أن الذين ترك عتبوا؛ فحمد الله، ثم أثنى عليه ثم قال: "أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل، وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي، ولكن أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب" فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- حمر النعم.

فانظر إلى هذا الثناء، وانظر إلى أثره في نفس عمرو بن تغلب-رضي الله عنه- حتى استغنى أن يطلب مالاً؛ فكانت هذه الكلمة أحب إليه من حمر النعم، وهي أَنْفَسُ ما تملكه العرب.

وجاء في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: "كان الرجل في حياة النبي-صلى الله عليه وسلم- إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فتمنيت أن أرى رؤيا؛ فأقصها على رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وكنت غلاماً شاباً، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم؛ فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فَلَقِيَنا ملك آخر، فقال لي لم تُرَعْ.

فقصصتها على حفصة، فقصَّتْها حفصة على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فقال: "نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل".

فكان عبد الله بَعْدُ لا ينام من الليل إلاّ قليلاً.

فهذه أمثلة يسيرة من السنة، والمقام لا يحتمل الإطالة في ذلك، وإنما هي إشارات يتبين من خلالها أن الثناء الصادق سنة متبعة، وأن له آثاره الحميدة.

ولهذا تتابع السلف الصالح على هذا الخلق النبيل، فلو نظرنا في سير أكابرهم لرأينا ذلك واضحاً؛ فهذا ابن مسعود-رضي الله عنه- يقول: "كان معاذ بن جبل أمة قانتاً لله حنيفاً، ولم يكن من المشركين" تشبيهاً له بإبراهيم الخليل-عليه السلام-.

فهذا الثناء من ابن مسعود-رضي الله عنه- دليل على إنصافه، وزكاء نفسه؛ فمع أنه من أكابر علماء الصحابة، ومع أنه أسبق إسلاماً وأكبر سناً من معاذ، إلاّ أنه لم يجد في نفسه غضاضة من الثناء عليه، وإنزاله منزلته اللائقة به.

وهكذا كان شأن الصحابة-رضي الله عنهم- وبمثل هذا الخلق النبيل سادوا، وارتفعوا، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وكانوا أكثرهم اتفاقاً ووئاماً، وأقلّهم خلافاً وتفرقاً.

وهكذا درج من جاء بعد الصحابة على هذا المنوال؛ فهذا الإمام أحمد-رحمه الله- يقول: "أتدري مَن الإمـامُ؟ الإمـام سفيان الثوري، لا يتقدمه أحد في قلبي".

وقـال: "قال لي ابن عيينة: لن ترى بعينك مثل سفيان".

وهذا سفيان الثوري-رحمه الله- يقول: "كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل، ولو كان في الصحابة لكان رجلاً فاضلاً".

ويقول-أيضاً- في ابن المبارك-رحمه الله-: "إني لأشتهي أن أكون من عمري كلّه أن أكون سنة مثل ابن المبارك؛ فما أقدر أن أكون، ولا ثلاثة أيام".

وقال علي بن زيد: حدثني عبدالرحمن بن أبي جميل قـال: "كنا حول ابن المبارك بمكة، فقلنا له: يا عالم الشرق حدثنا-وسفيان قريب منا يسمع- فقال: ويْحَكُم! عالم المشرق والمغرب وما بينهما".

فها هم أفاضل السلف يشهد بعضهم لبعض، ويُثني بعضهم على بعض دونما تحرج أو غضاضة؛ فماذا كانت النتيجة؟ لقد رفعهم الله جميعاً؛ وربما كان إعجابنا بالشاهد المادح أعظم من إعجابنا بالمشهود له الممدوح؛ لأن شهادته لِقِرْنِه تدل على ساحة طاهرة، ونفس زكية.

وهذا مما يرقى بالذوق، ويسمو بالهمم، ويرتقي بالمشاعر، ويقضي على روح التشاحن والبغضاء.

قيل لأعرابي: "من أكرم الناس عشرة؟ قال: من إذا قرب منح، وإذا بعد مَدَح، وإن ضُويق فسح،

فمن ظفر به فقد أفلح ونجح".

ومما ينبغي التنبيه عليه مراعاة الفرق بين المديح المنضبط المعتدل الصادق، وبين الإطراء الكاذب الممقوت.

وكذلك ينبغي مراعاة التوازن في المديح؛ لأن من الناس من يزيده المديح إقبالاً وجدًا، وفضلاً ونبلاً، ومنهم من يبعث فيه المديح غروراً، وطيشاً، وتيهاً، وعتواً، ونفوراً.

وهذا راجع لحكمة الإنسان، ومعرفته بطبائع النفوس، وربما كان الفصل بينهما رهينَ كلمة مدح مقدرة أو مبالغ فيها.

وبناءً على ما مضى كله؛ فلماذا لا نأخذ بهذه الطريقة الحكيمة النبيلة؟ لماذا لا نأخذ بها إذا وقفنا أمام الناس لنعظهم؛ فنبدأ بالثناء عليهم ثناءً متزناً؛ كي نهيئ نفوسهم لقبول ما نقول؛ إذ لا شيء يهزّ أعطافهم كالثناء عليهم خصوصاً إذا كان من غريب؟

وما الذي يضيرنا إذا رأينا إنساناً محافظاً على الصلاة، أو باراً بوالديه، أو واصلاً لأرحامه، أو متودّداً لجيرانه أن نذكره بعظم هذا العمل، وأن نشكره عليه، ونوصيه بالاستمرار على ذلك؟

وما الذي يمنعنا إذا رأينا من أحد طلابنا جدًّا ونشاطاً وأدباً أن نشعره بالرضا والفرح، والدعاء؟

وما الذي يمنعنا إذا رأينا معلماً مخلصاً في عمله، حريصاً على طلابه أن نَشُدَّ على يده، وأن نشكره على إخلاصه وحرصه؟ بدلاً من تخذيله، وإشعاره بأنه إنسان ساذَج يقوم بأكثر مما طلب منه.

وما الذي يضيرنا إذا رأينا خطيباً مصقعاً يهزّ أعواد المنابر، ويحترم عقول المخاطبين، ويحرص على تحرير خطبه، وإلقائها في أثواب ملائمة أن نشكر له صنيعه، ونشعره باستفادتنا منه، وتقديرنا له؟

وما الذي يضيرنا إذا رأينا أو سمعنا عن طبيب حاذق يتمتع بخلق فاضل، وصبر على مراجعيه، وحرص على سلامتهم وعافيتهم أن نبدي له إعجابنا وشكرنا ودعاءنا؟

وما الذي يلجم أفواهنا أو أقلامنا أن تشكر صحفياً أو كاتباً على حبه للفضيلة، ودفاعه عنها؟

ولماذا لا نزجي الشكر والثناء لمسؤول أصدر قراراً فيه نفع للمسلمين، أو فيه فتح لباب خير، أو إغلاق لباب شرّ؟

ولماذا لا نعتاد تقديم الثناء، والشكر لمن أسدى إلينا معروفاً ولو قلّ؟

قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافؤونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه".

وقال -عليه الصلاة والسلام-: "من صُنع إليه معروفٌ، فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء".

يقول سفيان الثوري -رحمه الله-: "إني لأريد شرب الماء، فيسبقني الرجل إلى الشربة، فيسقينيها؛ فكأنما دقَّ ضلعاً من أضلاعي لا أقدر على مكافأة لفعله".

وقال أبو هاشم الحراني: "من طباع الكريم وسجاياه رعاية اللقاءة الواحدة، وشكر الكلمة الحسنة الطيبة، والمكافأة بجزيل الفائدة".

وبالجملة فباب الثناء والشكر باب واسع لمن أحسن الدخول فيه، ومسلك جميل للتعبير عن المشاعر، والحفاظ على روح الود، والنهوض بالهمم.

وإن الذي يُلحظ في أحوال بعضنا أنه لا يحفل بهذا المسلك الرشيد، مع أنه سهل ميسور، محمود العواقب، كثير العوائد.

بل إننا مستعدون للنقد، والمجادلة، والرد أكثر من استعدادنا للشكر والثناء الصادق، مع أن الثناء الصادق مقتضى العدل، بل والإحسان.

والعاقل لا يعدم خصلة خير ينفذ من خلالها إلى قلب من يريد هدايته، أو كسبه، أو تقليل شره، أو زيادة خيره.

بل إن المبادرة بالنقد، والنظر من زاوية الخلل -ابتداءً- قد يكون سبباً لرد الحق، وذريعة للتمادي في الباطل؛ فلو أنك بادرت شخصاً بالنقد والثلب لربما أراك أو أسمعك من سوئه ما لم يكن في حسبانك، ولسان حاله يُنشد: «أنا الغريقُ فما خوفي من البلل».

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

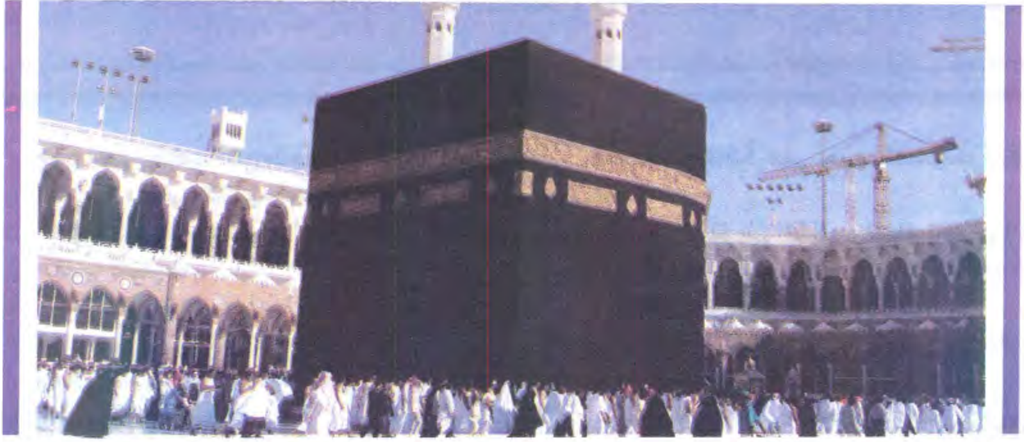

رسول البشرية صلى الله عليه وسلم
خيرُ مُعَلّم ومُفْتٍ في الحجّ

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبينا المصطفى ورسولنا المجتبى سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، أما بعدُ:

في مثل هذه الأيام من كل تستقبل أمة الإسلام مناسبة عظيمة وعبادة جليلة من أجل العبادات؛ من أداها محا الله عنه السيئات، وأدخله الله الجنات، تُرى ما هي هذه العبادة؟ إنها فريضة الحج. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والحجُّ المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة». متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من حج فلم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه». متفق عليه.

والحج المبرور هو الذي يقوم على العلم والعمل معًا، والاستعداد للحج بالعلم النافع، والفقه في الأحكام، وسؤال أهل العلم عما يُشكل فلا يجوزُ أن يُعبد الله على جهل، أو تؤدَّى المناسك على غير هُدَى، وذلك أمرٌ ينبغي أن يُعنى به الحجاج أيما عناية، ونهيب بشركات السياحة أن يكون مع كل حملة عالم يعلمهم ومُفْت يفتيهم اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأتركك أخي لتقف على ما قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في رحلته المباركة لأداء فريضة الحج:

١ - التعليم:

ومن تأمل حجه صلى الله عليه وسلم وجد أنه هو ذلك المعلّم الموصوف بعينه صلى الله عليه وسلم:

إعداد: عبده أحمد الأقرع

«ما رأيت معلّمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه». (صحيح مسلم: ٥٣٧). إذ أمر بأن يؤذن في الناس قبل الحج بأنه صلى الله عليه وسلم يريد الحج، ليسهل على من يريد مرافقته السفر معه، ومكث خارج المدينة بذي الحليفة يومًا كاملاً ينتظر من يريد اللحاق به صلى الله عليه وسلم. (صحيح البخاري: ١٥٥١). فقدم المدينة بشرٌ كثير، ولحقت به أعداد غفيرة كل واحد منهم يلتمس أن يأتم به ويأخذ عنه. (صحيح أبي داود رقم: ١٦٧٦)، حتى بلغوا مائة ألف. (مختصر السيرة لابن عبد الوهاب: ٥٧٢).

فاختلط صلى الله عليه وسلم بالناس وأشرف لهم، وبرز طوال الموسم، وكان لا يُصرَف أحدٌ عنه ولا يُدْفَع، ولم يكن حوله ضَرْب ولا طَرْد ولا قول: إليك إليك (صحيح سنن ابن ماجه رقم ٢٤٦١).

وحرص صلى الله عليه وسلم على البلاغ وإقامة الحُجَّة على الخلق فحفّزهم على التعلم، وشحذ هممهم، وشد انتباههم إلى ما يقول ويفعل، بتنويع أساليب الخطاب وطرق التعليم، وبأمره لهم بأخذ المناسك عنه لاحتمال أن تكون حَجَّته الأخيرة، واتخاذه من يُنْصت الناس ويُسكتهم، كما في حديث بلال رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له غداة جَمع: «يا بلال، أسكتِ الناس». أو:

«أنصت الناس». ثم قال: «إن الله تَطَوَّل عليكم في جمعكم هذا فوهب مسيئكم لمحسنكم، وأعطي مُحسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله». (صحيح سنن ابن ماجه: ٢٤٦٨). وتَطَوَّل: أي: تفضَّل ومنَّ.

ولم يقتصر صلى الله عليه وسلم على البلاغ والتعليم بنفسه، بل جعل صلى الله عليه وسلم حين خطب الناس بعرفة- ربيعة بن أمية- رضي الله عنه يصرخ خلفه في الناس يُسمعهم خطبته. (السيرة النبوية لابن كثير: ٣٤٢/٤).

وفي معنى جعل صلى الله عليه وسلم عليًا رضي الله عنه يعبِّر عنه، ويردِّد كلامه، والناس بين قاعد وقائم. (صحيح سنن الترمذي، رقم ٧٠٠).

وقد كان صلى الله عليه وسلم أحيانًا يمزج تعليمه بتلطف ومداعبة، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أغيلمة بني عبد المطلب على حُمُرات لنا من جَمْع فجعل يلطح أفخاذنا ويقول: أبيني، لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمسُ». (صحيح سنن ابن ماجه رقم ٢٤٦٩). معنى: «أغيلمة» الصبيان.

معنى: «حمرات» جمع حمر أو جمع حمار.

معنى: «اللطح» الضرب بالكف وليس بالشديد.

معنى: «أبيني» هو تصغير بُني.

ولم يقتصر تعليمه صلى الله عليه وسلم على الأصحاء والكبار، بل علَّم المرضى ووجَّه الضعفة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لأم سلمة رضي الله عنها حين اشتكت إليه أنها وَجعة: «طوفي من وراء الناس وأنت راكبة». (صحيح البخاري رقم ٤٦٤).

وأمره صلى الله عليه وسلم للظُّعُن والضعفة أن ينفروا عن جَمْع بليل. (صحيح البخاري: ١٦٧٩).

كما شمل تعليمه صلى الله عليه وسلم الصغار والأطفال، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما وهو غلام غداة العقبة، وهو واقف على راحلته: «هات، الْقُط لي». يقول ابن عباس: «فلقطت له حصيات هُنَّ حصى الخَذف، فوضعهن في يده، وجعل يقول بهنَّ في يده: «أمثال هؤلاء فارموا». (صحيح سنن النسائي رقم ٢٨٦٥).

واستنهض الهمم للعمل بذكر مراتب بعض الأعمال وفضائلها، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير». (صحيح سنن الترمذي رقم ٢٨٣٧).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «مسحُ الحجر والركن اليماني يحط الخطايا حطًا». (صحيح الترغيب: ١١٣٩).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «من طاف بالبيت وصلى ركعتين، كان كعتق رقبة». (صحيح سنن ابن ماجه رقم ٢٣٩٣).

وأبرز الأمور التي اهتم بها صلى الله عليه وآله وسلم بتعليم الناس إياها، هي: أحكام المناسك: حيث جمع فيها صلى الله عليه وسلم بين البيان النظري والتطبيق العملي، فإنه صلى الله عليه وسلم «لما كان قبل التروية بيوم، خطب الناس فأخبرهم بمناسكهم». (صحيح الجامع رقم ٤٧٧٤).

ومن ذلك بيانه صلى الله عليه وسلم منزلة أركان الإسلام وقواعده الكبار، إذ قال في إحدى خطبه في الموسم: «اتقوا ربكم وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم». (صحيح الترمذي: رقم ٥١٢).

ومنها: عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: «ألا أخبركم بالمؤمن؟ مَن أمنه الناسُ على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب». (السلسلة الصحيحة رقم ٥٤٩).

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» (صحيح البخاري: رقم: ٦٧).

ومن ذلك: بيانه صلى الله عليه وسلم بعض الأحكام الشرعية، ككيفية غسل الميت مُحرمًا وتكفينه، كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما رجل واقف بعرفة إذ وقع عن راحلته فوقصته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يُبعث يوم القيامة ملبيًا». (صحيح الجامع: ١٠٧٩)، وبما أنا نرى اليوم الملايين من البشر في الحج تتوافد على الديار المقدسة عامًا بعد آخر، فإن

الفرصة متواتية لأن يتصدى أهل العلم لتعليمهم أصول الدِّين وتفضيههم بأحكامه.

ثانيا: الإفتاء:

من أهم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم في الحج مع الناس تبيين المُشكل عليهم من الأحكام، والجواب عن أسئلتهم.

ولعل من أشهرها: «أنَّ امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله، إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج، وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فحجي عنه». (صحيح مسلم رقم: ١٣٣٥).

وقوله صلى الله عليه وسلم لكل من سأله عن التقديم والتأخير في أعمال يوم النحر: «افعل ولا حرج». (صحيح البخاري رقم ٨٣).

والملاحظ في إفتائه صلى الله عليه وسلم في الموسم أمور عدة، من أوضحها: وقوفه صلى الله عليه وسلم للناس وبروزه لهم لكي يروه ويسألوه، كما يدل لذلك حديث جابر رضي الله عنه قال: «طاف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالبيت في حجة الوداع على راحلته، يستلم الحجر بمحجنه، لأن يراه الناس، وليُشرف، وليسألوه، فإنَّ الناس غشوه». (صحيح مسلم: ١٢٧٣).

ومنها: جنوحه إلى التيسير في فتاويه، والتخفيف عن ذوي الحاجات، والشواهد على ذلك كثيرة، منها: عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، فقالت: يا رسول الله، إني أريد الحج وأنا شاكية؟ فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: حُجي، واشترطي أنَّ محلي حيث حبستني». (مسلم رقم ١٢٠٧).

ومنها: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: استأذن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته، فأذن له. (صحيح البخاري: ١٦٣٤).

ومنها: عن عاصم رضي الله عنه قال: «رخَّص رسول الله صلى الله عليه وسلم لرعاء الإبل في البيتوتة، أن يرموا يوم النحر، ثم يجمعوا رَمي يومين بعد النحر فيرمون في أحدهما- قال مالك: ظننت أنه قال: في الأوَّل منهما، ثم يرمون يوم النفر». (صحيح سنن ابن ماجه رقم: ٢٤٨١).

معنى: «البيتوتة» أي: في شأن البيتوتة بمنى.

ومنها: حرصه صلى الله عليه وسلم على الإقناع لمن يستفتيه، كقوله صلى الله عليه وسلم لرجل قاله له: «يا رسول الله، إني أبي أدركه الإسلام، وهو شيخ كبير، لا يثبت على راحلته، أفاحج عنه؟ قال: أرأيت لو كان عليه دَيْن فقضيته عنه، أكان يُجزيه؟ قال: نعم. قال: فاحجج عن أبيك». (المسند للإمام أحمد رقم ١٨١٢).

ومنها: صبره صلى الله عليه وسلم على السائلين واحتمالهم، ورحمتهم، والرفق بهم، والشواهد الدالة على ذلك كثيرة: منها: حديث جابر رضي الله عنه الطويل، وفيه: «ثُمَّ ركب القصواء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت على مد بصري بين يديه من راكب وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومَن خلفه مثل ذلك». (صحيح مسلم رقم: ١٢١٨).

ومنها: إفتاؤه صلى الله عليه وسلم في شأن الحج، وهو الغالب، ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت عميس رضي الله عنها لما ولدت، وهي معه بذي الحليفة، فأرسلت إليه تسأله: كيف تصنع؟ قال: «اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي». (صحيح مسلم رقم: ١٢١٨).

ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم كان أحيانًا يمزج فتواه بترغيب في العمل، ومن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة بالروحاء رفعت إليه صبيًّا، فقالت: «ألهذا حج؟ قال: نعم، ولك أجر». (مسلم رقم: ١٣٣٦).

ومنها: تعدُّد مواطن فتاويه، وإفتاؤه صلى الله عليه وسلم الناس في كل موطن؛ إذ أفتى الحجيج عند الإحرام بذي الحليفة، وفي البيت الحرام، وفي عرفة، ومزدلفة، ومنى، وأثناء التنقل بين المشاعر، وفي طريق العودة إلى المدينة، فما أحوجنا لمن يقوم بهذا الأمر مع كل حملة من حملات الحج من كافة اللغات، والبروز لهم في طرقاتهم ومواضع إقامتهم، للإجابة على أسئلتهم، وحل إشكالاتهم، ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

وصلى الله وسلم وبارك عليك يا سيدي، يا رسول الله، اللهم امنن علينا بحج بيتك الحرام.

تحذيرُ النَّبيِّ صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الفِتَنِ بَعْدَهُ

إعداد د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد رسول الله، وبعد:

فإنَّني لمَّا نظرْتُ في هذه السِّنينَ القليلة الماضيَة، وجُلْتُ فيها ببَصَري رَأَيْتُ أنَّهُ قَدْ أمِرَ(أي: عظُم) أمْرُ هَذه الفتن، وَبَلَغَتْ مَبْلَغًا يَجِلُّ عَنْ وَصْفه الْبَنَانُ، وَيَكِلُّ عَنْ نَعْته اللِّسَانُ؛ ومع ذلك لَمْ نَسْعَ في اجتنابها، ولم نعمل على اتقائها مع كثرتها وَقِلَّة الْمُحذِّرينَ منْهَا.

ومن أشد ذلك عليَّ أني رأيت الفتن على كَثْرَتها تَسْتَخِفُّ فُؤَادَ الرَّجُلِ الْحَلِيم، وتستنزل ذا العقلِ السَّديد والنَّظر القويم، ولا قوة إلا بالله وهو المستعان.

وإن الناظر في حالنا ليتأوه آهة الرجل الحزين، من شدة الفتن وتتابعها وامتلاكها النفوس وغلبتها عليها، واستضعاف الناس أنفسهم لديها، ثم تفيض عينه من الدمع من فرْط الحزْنِ، ويبكي من شدَّةِ الوَجْد، وينْتَحِبُ الليلَ الطويلَ لأجْلِ الخَطْب الجَلِيل، ويَبيتُ يرْعَى النُّجوم من غَلَبَة الهُمُوم، فلا يَسْتَطِيع مَضْجعًا ولا مَهْجعًا.

وَإِنْ رُمْتَ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ فَانظُرْ-يرحمك الله من منصِف- إلى حالِ النَّاس مثلًا مع عُلَمائهم وشُيُوخهم وإخوَانهم تراهم يطعنون على أهل العلم وفرسانه، ويعيبون الراكضين في ميدانه، ويرمونهم بمظالم أنقضت الظهور بأثقالها، ويا ليْتَ ما يعيبُونهم به حَقائق، بل إنها شقاشق وبوائق، لعل الله قد برَّأهم منها، وهذا في الجهْل غَايَةٌ، وفي التَّقْصيرِ عن مَرَاتِبِ الفضْل نهايةٌ؛ فإلى الله المشتكى.

وقد سألت نفسي سؤالًا: أما حذَّرنا النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن؟ وكان الجواب

القاطع: بلى، قد حذرنا وأنذرنا، فسألت نفسي سؤالًا آخر: فما بالُ الناس يتهافتون عليها تهافتَ الفَرَاش على النَّار؟ وكان الجواب: أنّهم لم يطالعوا الأخْبَار في التَّحْذير من الفتن.

وقد حذَّرنا منها نبيُّنا صلى الله عليه وسلم وخافَها علينا أن تَقَع بنا فتئدُ الإيمانَ في القلوب.

قَالَ ابْنُ بَطَّال: كَانَ النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الفتن ومن شرها ويتخوف من وقوعها؛ لأنها تذهب بالدين وتتلفه، وقال: قول الله: " وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً " (الأنفال: ٢٥) قال: إنَّ الفتنة إذا عمَّت هلك الكُلُّ، وذلك عند ظُهور المَعَاصي وانتشار المنكر، وقد سألت زينب النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا المعنى فقالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم، إذا كَثُرَ الخَبَثُ" اهـ (شرح ابن بطال: ١٠/٦).

وقال أيضًا: وقد روى النضر بن شميل، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: "ويل للعرب من شرٍّ قد اقْتَرَب، مُوتُوا إن اسْتَطَعتُم" وهذا غاية في التَّحذير من الفتن والخوض فيها حين جَعَل الموتَ خيرًا من مباشَرتها، وكذلك أخْبرَ في حديث أسامة بوقوع الفتن خلال بيوتهم ليتَوَقَّفوا ولا يخوضُوا فيها ويتأهَّبوا لنزولها بالصبر، ويسألوا الله العصمة منها والنجاة من شرها. اهـ. (شرح ابن بطال: ١٠/١١؛ - ١٢).

عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: "يُقْبَضُ العِلْمُ، وَيَظْهَرُ الجَهْلُ وَالفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ" قِيلَ يَا رَسُولَ الله، وَمَا الهَرْجُ؟ فَقَالَ: "هَكَذَا بِيَدِهِ فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ القَتْلَ". (رواه البخاري٨٥). وفي لَفْظ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ: "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ- وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ- حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ".

قال ابن حجر: قوله: "وَتَظْهَرُ الفِتَنُ" فَالْمُرَادُ كَثْرَتُهَا وَاشْتِهَارُهَا وَعَدَمُ التَّكَاتُمِ بِهَا وَاللَّه الْمُسْتَعَان اهـ فتح الباري: (١٣/١٨، ح٧٠٦٢).

وإذا كان النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ حينما أَشْرَفَ عَلَى أُطُم، منْ آطام المَدينَة، قَالَ: "هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى، إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الفتَن خلاَلَ بُيُوتكُمْ كَمَوَاقِع القَطْر". (رواه البخاري١٨٧٨) ومسلم٢٨٨٥، عن أُسَامَة بْن زَيْد رَضيَ الله عَنْهُ.

قال النووي: وَالتَّشْبِيهُ بِمَوَاقِعِ الْقَطْرِ فِي الْكَثْرَة وَالْعُمُوم أَيْ إِنَّهَا كَثِيرَةٌ وَتَعُمُّ الناس لاتختص بِهَا طَائِفَةٌ وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى الْحُرُوب الْجَارِيَة بَيْنَهُمْ كَوَقْعَة الْجَمَل وَصِفِّينَ وَالْحَرَّة وَمَقْتَل عُثْمَانَ وَمَقْتَل الْحُسَيْن رَضِيَ الله عَنْهُمَا وَغَيْر ذَلِكَ وَفِيهِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ اهـ (شرح النووي على مسلم: ١٨/٧-٨ (٢٨٨٥).

وقال المهلَّبُ: مُثِّل للنبي صلى الله عليه وسلم الفتن التي حدثتْ بعدهُ فرآها عيانًا، وأنذرَ بها عليه السلام قبل وقوعها، وهذه علامةٌ من علامات نبُوَّته؛ لإخباره عن الغيب في ذلك، فكانت الفتنُ بعده كالقطر كما أخبر وخبره الصادق المصدوق اهـ شرح ابن بطال: ٤/٥٤٩.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، ذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَد اقْتَرَبَ مِنْ فِتْنَة عَمْيَاءَ صَمَّاءَ بَكْمَاءَ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِم، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَيْلٌ لِلسَّاعِي فِيهَا مِنَ الله يَوْمَ الْقِيَامَة" (رواه ابن حبان ٦٧٠٦).

قال المناوي: "ستكون فتْنَة"، كان هنا تامة، أي: ستحدُثُ فتنةٌ "صمّاء بكْمَاء عمْيَاء" يعني: يَعْمى الناس فيها فلا يَرَوْن منها مَخْرجًا ويُصمُّون عن استماع الحقِّ أو المراد فتنة لا تسمع ولا تبصر ولا تنطق فهي لفقد الحواس لا تقلع ولا ترتفع "من أشرف لها استشرفت له" أي من اطلع ينظر إليها جرته لنفسها فالخلاص في التباعد منها والهلاك في مقاربتها. اهـ. (فيض القدير:٤/١٠١).

فما بالك بزماننا؟! الذي أصبحتْ فيه الألْسنَةُ مُخْصِبَةً، وَأمْسَت الْقُلُوبُ مُجْدِبَةً؛ فأما العقول فإنها صغيرة، وأما النفوس فإنها ممتلئة غلًّا وَضَغينَةً، وَأَمَّا الأَخْلَاقُ فَإِنَّهَا رَقِيقَةٌ صَفِيقَةٌ قَدْ غَلَبَ عَلَيْه "حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ" فإلى الله المشتكى.

وقد جاءَ هذا الوصفُ في قول عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ" (رواه البخاري٣٦١١، ومسلم١٠٦٦).

وقد أجاد منصور بن عمار في وصف هذا الزمان فقال: تَغَيَّرَ الزَّمَانُ حَتَّى كَلَّ عَنْ وَصْفِه اللِّسَانُ فَأَمْسَى خرفًا بَعْدَ حَدَاثَتِه، شَرِسًا بَعْدَ لِينِه، يَابِسَ الضَّرْعِ بَعْدَ غَزَارَتِه، ذَابِلَ الْفَرْعِ بَعْدَ نَضَارَتِه، قَاحِلَ الْعُودِ بَعْدَ رُطُوبَتِه، بَشِعَ الْمَذَاقِ بَعْدَ عُذُوبَتِه، فَلَا تَكَادُ تَرَى لَبِيبًا إِلَّا ذَا كَمَدٍ وَلَا ظَرِيفًا وَاثِقًا بِأَحَدٍ، وَمَا أَصْبَحَ لَهُ حَلِيفًا إِلَّا جَاهِلٌ، وَلَا أَمْسَى بِه قَرِيرَ الْعَيْنِ إِلَّا غَافِلٌ، فَمَا بَقِيَ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا الاسْمَ، وَلَا مِنَ الدِّينِ إِلَّا الرَّسْمَ وَلَا مِنَ التَّوَاضُعِ إِلَّا الْمُخَادَعَةَ، وَلَا مِنَ الزَّهَادَةِ إِلَّا الانْتِحَالَ، وَلَا مِنَ الْمُرُوءَةِ إِلَّا غُرُورَ اللِّسَانِ. اهـ.

وفي حلية الأولياء:(٥/٢٥١) قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ الْوَلِيد: سَمِعْتُ ابْنَ حَلْبَس، يُنْشِدُ هَذَا الْبَيْتَ عِنْدَ الْمَوْتِ:

ذَهَبَ الرِّجَالُ الصَّالِحُونَ وَأُخِّرَتْ
نَتْنُ الرِّجَالِ لِذَا الزَّمَانِ الْمُنْتِنِ

نعم، إنه لأمرٌ مُفْزِعٌ لا يُطاقُ فالله المستعانُ، وحينما طالعت حديث الْمِقْدَاد بْنِ الأَسْوَد، الذي قَالَ فيه: وَايْمُ اللَّه، لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ:" إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ، إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنُ، وَلَمَنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ فَوَاهًا". رواه أبوداود (٤٢٦٣) وإسناده صحيح.

وفي لفظ أبي نعيم عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ الْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، جَاءَنَا لِحَاجَةٍ لَنَا، فَقُلْنَا: اجْلِسْ عَافَاكَ اللَّه حَتَّى نَطْلُبَ حَاجَتَكَ، فَجَلَسَ فَقَالَ: الْعَجَبُ مِنْ قَوْمٍ مَرَرْتُ بِهِمْ آنِفًا، يَتَمَنَّوْنَ الْفِتْنَةَ، وَيَزْعُمُونَ لَيَبْتَلِيَنَّهُمُ اللَّه فِيهَا بِمَا ابْتَلَى بِه رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ، وَايْمُ اللَّه لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ السَّعِيدَ لَمَنْ جُنِّبَ الْفِتَنَ- يُرَدِّدُهَا ثَلَاثًا- وَإِنِ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ" (الحلية: ١/١٧٥).

حينما طالعت الحديث تَأَمَّلْتُ أَلْفَاظَهُ فوجدت فيه من علامات التوكيد (إنّ - لام التوكيد) ما يشدُّ الانتباه إلى أهميَّة الأمر، وَأَنَّ الْخَطْبَ جِدّ وَالْأَمْرَ إِدّ؛ إِذْ إِنَّ عَامَّةَ الْخَلْقِ يَبْحَثُونَ عَنِ النَّجَاةِ وَالسَّعَادَةِ كُلٌّ بِمَا ارْتَآهُ وَارْتَضَاهُ، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، غَيْرَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ طَالِبِ الشَّيْءِ يَجِدُهُ.

قال الخطابي: "واهاً" كلمة معناها التَّلَهُّف، وقد يُوضع أيضاً مَوْضع الإعجاب بالشّيء، فإذا قلت: ويهاً، كان معناها الإغراء. (معالم السنن: كتاب الفتن ٤/٣٤٣).

وقال المناوي: "إنّ السعيد لَمَنْ جُنِّبَ" بضم الجيم وتشديد النون "الفتن" يعْني بُعِدَ عنها ووُفِّق للزوم بيْته وكَرَّرَهُ ثلاثًا مُبالَغة في تأكُّد الْمُبَاعَدَة عنها "وَلَمَن ابتُلِيَ" أَيْ: بِتِلْكَ الْفِتَنِ هُوَ بفتح اللام جواب قسم في صدْر الحديث و"مَنْ" بفتح الميم شرطية و"ابتلي" في محل جزم بها "فَصَبَرَ" معطوف عليه أي: صبر على ما وقع في الفتن، وصبر على ظُلم الناس له، وتحمَّل أذاهم ولم يَدْفَعْ عن نفْسه وقضية كلام المصنِّف أنّ ذا هو الحديث بتمامه والأمر بخلافه بل بقيته عند أبي داود " فواهًا ثُمّ واهًا" أي: طوبى له لما حصل أي: فواهًا له، ما أطيبَه اهـ فيض القدير: ٢/٣٤٥.

نسأل الله أن يعافينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أخطار تهدد البيوت

الحلقة الأولى

الإنترنت أخطاره ومفاسده

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد.

فإن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وهو الأعلم بما خلق، وبما أودع فيه من فطرة وغريزة، وفجور وتقوى، وهو الأعلم سبحانه بأدواء هذه النفوس وآفاتها، وما تحبه وما تكرهه في كل أطوار حياتها، كذلك فهو الأعلم جل وعلا بما يصلحها وما يفسدها، لذا كان لزامًا لمن أراد أن يورد نفسه موارد السعادة دنيا وآخرة؛ أن يتحرَّى منهج الصانع سبحانه؛ القيوم القائم على كل نفس بما كسبت. وباتباع منهج الله سبحانه وتعالى لمن أراد تأسيس الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم فسيكون الأساس متينًا، والبناء قويًا مستقيمًا، والمجتمع راقيًا كريمًا، فيتم للأسرة السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة.

لقد امتن الله- تعالى- على عباده بنعم كثيرة؛ « وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا » (النحل: ١٨)، وسخر لهم كل شيء في الكون من أجل طاعته وعبادته؛ « أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً » (لقمان: ٢٠).

فكل هذه النعم التي لا تُعد ولا تُحْصى، قد جعلها الله تعالى عونًا للعباد على الراحة واليسر في الدنيا، وزادًا ومددًا في طريق السير إلى طلب رضاه ونيل جنته في الآخرة.

لم يتنبأ أحد من الناس، بل حتى مخترعو الإنترنت لحظة ابتكاره خلال ستينيات القرن الماضي، أن يصير العالم أسيرًا له، ولم يتخيلوا أن تتحول حياة الكثير من الناس بلا معنى دونه، أو أن يعيشوا بعيدًا عنه. وما لم يكن في الحسبان صار اليوم حقيقة إن التعلق المرضي والارتباط السلبي بالفايسبوك والواتساب وتويتر...، وغيرها من وسائط التواصل الإلكتروني، لا يعني إلا صورة من صور الإدمان والتي يشعر فيها المدمن ألا وجود له إلا بوجود الإنترنت ، ولا عيش له إلا معه وبه، فالإهتمام بالذات يتلاشى أمامه، والعناية بالمحيط تفتر، والمناعة النفسية لمواجهة المشاكل اليومية تقل، هذا دون أن نغفل ما تحمله هذه الشبكة من مخاطر ومضامين سلبية مصاحبة، ، فالكثير مما أوجده الله في هذا الكون يحمل خيرًا من وجه، وشرًّا من وجه آخر، يقول أبو جعفر الطحاوي فى كتابه المشهور بالعقيدة الطحاوية: "فإنه سبحانه لم يخلق شرًّا محضاً، من جميع الوجوه والاعتبارات"، وعليه فالإنترنت شأنه شأن العديد من الفتوحات العلمية، والكشوفات التقنية، تحمل في طياتها

مزايا ومعايب، مصالح ومفاسد، خيرا وشرا.

لكن بعض الناس أساؤوا استخدام تلك النعم، فاستعملوها في معصيته، وتقربوا بها إلى غضبه ومقته، واستعملوا تلك الوسائل في غير مرضاة الله، فحاد الكثير عن طريق الخير وسلكوا طريق الغي والضلال.

وقد رغبت في إيضاح أضرار الشبكة العنكبوتية - الإنترنت - على من يستعملها استعمالاً خاطئًا، والتوجيه إلى الحذر منها وخطرها على الأهل والذرية، فبعض الناس - هداهم الله - يُدخل تلك الخدمة إلى بيته دون حذر أو متابعة، فيعود ذلك كله على أهله وأولاده بالشر المستطير.

ومن تلك الأضرار:

أولاً: ضياع الأوقات والواجبات:

فإذا نظر المسلم من يجلس أمام شاشات الإنترنت، علم طول الوقت الذي يخسره من عمره في غير منفعة، بل ربما يعود ذلك عليه بالضرر الحسي والمعنوي، فالجالس أمام تلك الشاشة يقلب بصره يمينًا وشمالاً، ويبحث عما لا يفيده، فيضيع عليه عمره هباءً منثورًا، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ". (رواه البخاري).

ثانيًا: انحراف الشباب:

فإن هذه الشاشات المتاحة في كل مكان وزمان استغلها أعداء الإسلام في بث سمومهم وإباحيتهم وانحرافاتهم وسوء أخلاقهم وقبيح عاداتهم، في قلوب أبناء المسلمين، يملؤون بها سمعهم وبصرهم فتشربها قلوبهم. فلا تجد إنسانًا الآن يفتح أي نافذة على هذه الأجهزة إلا وتتطاير أمامه صور النساء وصور العشاق والفساق، في أقبح مناظر عرفها أهل المجون والفسق. قال الله تعالى: "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ " (البقرة: ١٠٩).

ثالثًا: فساد المجتمع:

حيث إن انحسار العالم بمؤسساته وأفراده ذكورًا وإناثًا في هذه الشاشات الصغيرة سهَّل للشباب الوصول لكل شهوة، والتواصل بين الجنسين في أنحاء الدنيا روَّج للحرام، وأتاح الإجرام، حتى فسدت مجتمعات، وخربت بيوت، وتشردت أسَر، وكثر الخداع والغشّ والكذب.

وما انتشار حالات الطلاق بهذا الشكل المرعب، وتفكك الأسر بهذا الحجم المخيف إلا نتيجة حتمية لما خلَّفه الاستخدام السيء لهذه التقنية بدون توعية ورقابة.

رابعًا: الغفلة عن دين الله الموجبة لعقابه:

الانسياق وراء وساوس الشيطان وخطواته لأنه كلما بَعُدَ المسلم عن طاعة ربه، ووقع في معصيته سوَّل له الشيطان المزيد من الشر والباطل فأورده المهالك وأخذ بيده إلى طريق الضلال، وصدق الله تعالى إذ يقول: «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ » (البقرة:١٦٨)، وقال أيضا: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ » (فاطر:٦). فالعاقل اللبيب لا يثق بعدوه أبدًا، ولا يلقي بنفسه في براثن الفتن.

خامسًا: تجنب مخاطر الإنترنت

يبدو لدى البعض أن أسلم طريقة للتعامل مع الإنترنت هي الاستغناء والتخلي عنه، نظرا لآثاره السيئة على النفس والمجتمع. لكن الصواب أن تدبير علاقة المسلم بالإنترنت لا تتم على هذا النحو لذا تبرز الحاجة ملحة وضرورية لتدبير أمثل لعلاقة المسلم بالإنترنت.

١ - مراقبة الله والنظر في العواقب:

لزوم رقابة الله تعالى: فمن أعظم الزواجر التي تعين المسلم على التعامل مع شاشات الإنترنت وغيرها وجود وازع الرقابة لله عز وجل في قلبه مر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بغلام يرعى الغنم، فطلب منه شاة بثمن - دون علم صاحبها - اختبارا لأمانة الراعي-، فأجاب الراعي: "فأين الله؟"، وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فقال له: "أوصني" فقال: "راقب الله"، فقال الرجل: "وما مراقبة الله؟"، فقال: "أن تستحي من الله"، إنها عبارات جامعة لكل معاني الخير، دافعة لكل ألوان الشر، موصلة إلى مرضاة الله ورضوانه، فمازال العبد بخير دينًا ودنيا، وهي التعبير النبوي لمضمون الإحسان: "فإن لم تكن تراه، فإنه يراك." ومما يعين المسلم على

النجاة من فتنة شاشات الإنترنت أن ينظر في العواقب، وأن يجاهد نفسه ويلجمها بلجام التقوى، وأن يعلم أن جلوسه أمام تلك الشاشات يعرضه للفساد المادي والمعنوي.

٢ - إحسان القصد والنية : إذا كان قصد العديد من المواقع والمنصات الإلكترونية إشاعة القيم والأخلاق المبتذلة، فهي بالمقابل تمثل مرتعًا من مراتع الدعوة إلى الله، ومساحة خصبة لنشر قيم الخير والمحبة والسلام، خصوصًا وأنها أضحت من أكثر الوسائل الدعوية انتشارًا، وأقلها كلفة، وأكثرها مردودية.

٣ - ترشيد العلاقة :

تحتاج علاقة المستخدم للإنترنت إلى ترشيد، من جهة اختيار المواقع والمنصات والمواضيع، وثانيًا من جهة تقنين المدد الزمانية دون إفراط ولا تفريط...، لأن الغالب اليوم هو إسراف الوقت ، مع إهمال كبير للإلتزامات الأسرية، والتكاليف العلمية، والعملية...، حتى أضحت هذه المنصات مصدرًا للقطيعة الأسرية والعائلية، بدل أن تكون أداة معززة للعلاقات الإنسانية، وسببًا في الإهمال الدراسي، عوضًا أن تصير دعامة للتفوق العلمي.

٤- التثبت مما يعرض علي الإنترنت:

فالمؤمن يكون حريصاً حال تعامله مع الإنترنت أن يتثبت مما يعرض عليه، فغالب ما يوقع الشباب والفتيات في الشر والباطل والوقوع في براثن الفكر المنحرف هو عدم التثبت ممن يتعامل معهم أو مما يُعرض عليه من تلك المواقع والمنتديات فيكون فريسة سهلة لهم وليتذكر المسلم قول الله تعالي : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ) (الحجرات :٦).

٥- أن يكون التعامل مع الإنترنت في مكان عام: بحيث يكون هناك وقاية للشباب والفتيات من استماع أو رؤية ما لا يحل، فالغالب على الشباب والفتيات حب الاستطلاع، ورؤية ما لا ينبغي، فإذا حرص ولي الأمر على وضع هذا الجهاز في مكان عام يراه الداخل والخارج ساعد ذلك في عدم الوقوع فيما لا يرضي الله تعالى.

٦- الاحتماء بالأسرة :

لا بد مع ذلك من الحرص على الاحتماء بالأسرة والاقتراب منها وعدم البعد عنها، فهي الملاذ الآمن للإنسان من مثل هذه المصائب، وغالبًا ما يكون الشاب الذي لا يتحدث مع والديه ولا يشركهم في همومه، ويستبدل بهم شبابًا في مثل سنه لا خبرة عندهم، بل وفيهم من لم يتربَّ بشكل سليم، مثل هذا الشاب يعرض نفسه للضياع.

٧- الحرص على الصحبة الصالحة:

إن الدائرة الصالحة المحيطة بالإنسان والمختلطة به والمؤثرة فيه هي أمر ضروري يحميه كثيرًا، ويبعده عن الوقوع في هذه الأشياء وغيرها من المفاسد؛ فصحبة المستقيمين والجادين والمؤدبين تساعد على اغتنام الوقت، وتعين النفس على استغلال ساعات العمر فيما ينفع في الدين والدنيا.

فابحث عن الصحبة الصالحة فيمن حولك، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» رواه أحمد والترمذي.

سادسًا: واجب أصحاب المسؤوليات:

قال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧». (التحريم/٦). عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه في قوله: (قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ) قال: علِّموهم، وأدّبوهم..... وعن ابن عباس، قوله: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) يقول: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، ومروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار. (تفسير الطبري، جامع البيان ت شاكر ٢٣/ ٤٩١).

فعلى جميع من ولاه الله أمر المسلمين؛ من مسؤولين، ودعاة، ومعلمين، وآباء وغيرهم أن يتقوا الله في أولادهم ورعيتهم، وأن يحرصوا عليهم من الشرور التي تعرض لهم، وأن يجنبوهم الفتن؛ ما ظهر منها وما بطن.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٢٩)

قصة مفتراة على صخرة بيت المقدس

إعداد علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- اشتهار هذه القصة لوجودها في كُتب السنة الأصلية.

٢- وكتب السنة الأصلية اصطلاح له معناه في الصناعة الحديثية عند التخريج للوقوف على العلة عند التحقيق.

حيث إن التخريج: «هو الدلالة على موضوع الحديث في مصادره الأصلية، ومصادر الحديث الأصلية: هي كتب السُّنة التي جمعها مؤلفوها عن طريق تلقّيها عن شيوخهم بأسانيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم».

٣- وهذا الذي بيّناه يحسبه من لا دراية له أنه هيّن، ولكنه عند أهل الصناعة الحديثية عظيم؛ فكم من كتب قد اشتهرت وانتشرت أورد فيها مؤلفوها كثيرًا من الأحاديث بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أحاديث لا أصل لها في كتب السنة الأصلية!

من أجل هذا سنقوم بتخريج هذه القصة من كُتب السنة الأصلية حتى تستبين علة الخبر الذي جاءت به هذه القصة.

ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصَّخْرَةُ صَخْرَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ عَلَى نَخْلَةٍ، وَالنَّخْلَةُ عَلَى نَهْرٍ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، وَتَحْتَ النَّخْلَةِ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، يُنَظِّمَانِ سُمُوطَ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

فائدة: من غريب ألفاظ هذا الخبر كلمة: «سُمُوط» وهو جمع (سِمْط)، وهو القلادة. كذا

في «المعجم الوجيز» (ص٣٢١)، مجمع اللغة العربية.

ثالثًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجته كتب السنة الأصلية:

١- فقد أخرجه أبو المعالي المشرف بن المرجي بن إبراهيم المقدسي المتوفى سنة ٤٩٢هـ في كتابه «فضائل بيت المقدس» (ص١٣٢)، ط دار الكتب العلمية، لبنان، باب (٢٤)، «ما جاء في المياه وأنها تخرج من أصل الصخرة، وأنها على نهر من أنهار الجنة». قال: أخبرنا أبو مسلم، قال: أنبأنا عمر بن الفضل، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الوليد بن حماد، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد، حدثنا محمد بن مخلد، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ثعلبة بن مسلم الخثعمي عن شعوذ بن عبد الرحمن، عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصخرة صخرة بيت المقدس...» الحديث.

٢- وأخرجه الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ في «تاريخ دمشق» (١١٩/٧٠) (ح١٣٨٣٤) قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن يحيى بن رافع النابلسي المؤذن، أخبرنا علي بن الحسن بن أبي الجزور، أخبرنا الفضل بن مهاجر المقدسي أخبرنا الوليد بن حماد، أخبرنا إبراهيم بن محمد، أخبرنا محمد بن مخلد، أخبرنا إسماعيل بن عياش، عن ثعلبة بن مسلم الخثعمي، عن شعْوذ بن عبد الرحمن، عن خالد بن معدان، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصخرة صخرة بيت المقدس...» الحديث.

٣- وأخرجه أبو بكر محمد بن أحمد الواسطي في «فضائل بيت المقدس»، كما في «الميزان» (٣٢/٤) من طريق محمد بن مخلد به.

٤- وأخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (٢١٧/٩-٢١٨) من طريق محمد بن مخلد به.

رابعًا: التحقيق:

١- هذا الخبر الذي جاءت به قصة صخرة بيت المقدس من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا هو خبر غريب كما هو مبيّن من التخريج علته محمد بن مخلد.

٢- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٢٥٦/٦) (١٧٣٤/١١٣): «محمد بن مخلد الرعيني حمصي يكنى أبا مسلم يُحدِّث بالأباطيل، وهو منكر الحديث عن كل من روى عنه». اهـ.

٣- هذا الخبر الذي جاءت به القصة أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٨١٥١/٣٢/٤) في ترجمة محمد بن مخلد الرعيني، وقال: «رواه أبو بكر محمد بن أحمد الواسطي الخطيب في «فضائل بيت المقدس» بإسناد مظلم إلى إبراهيم بن محمد، عن محمد بن مخلد، وهو كذب ظاهر». اهـ.

٤- ونقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٤٢٣/٥) (٨٠٠٤/١٢١٩) ما ذكر الإمام الذهبي في «الميزان»، وأقره وزاد فقال: «قال الدارقطني في غرائب مالك: متروك الحديث». اهـ.

٥- وأورد الخبر الذي جاءت به القصة الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢١٨/٩) وقال: «رواه الطبراني وفيه محمد بن مخلد الرعيني، وهذا الحديث من منكراته». اهـ.

خامسًا: الاستنتاج:

نستنتج مما أوردناه آنفًا من التخريج والتحقيق:

١- أن الخبر الذي جاءت به قصة «الصخرة صخرة بيت المقدس وأنها على نخلة،

والنخلة على نهر من أنهار الجنـة...» القصة. هـذا خبر غريب عن عبادة بن الصامت مرفوعًا.

٢- قال الإمام السيوطي في «التدريب» (١٨٢/٢): «قال أحمد بن حنبل: لا تكتبوا هذه الغرائب؛ فإنها مناكير، وعامتها عن الضعفاء». اهـ.

وهذا ينطبق على هذا الخبر؛ حيث انفرد به محمد بن مخلد الرعيني، وهو كما بينا يحدِّث بالأباطيل، وهو منكر الحديث عن كل من رَوى عنه، وقال الدارقطني في «غرائب مالك»: متروك الحديث، وبهذا يتبين أن هذا الخبر كما قال الإمام الذهبي: «كذب ظاهر». اهـ.

وما قاله الإمام الإمام الذهبي ينطبق على ما قاله الإمام أبو يوسف: «من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب غريب الحديث كذب». اهـ. كما في «التدريب» (١٨٢/٢).

سادسًا: أسباب وضع هذا الخبر:

لقد بَيَّن شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٢/٢٧) الأسباب التي أدَّت إلى وضع مثل هذه الأحاديث في الصخرة؛ صخرة بيت المقدس، فقال:

١- «وأما الصخرة فلم يصلِّ عندها عمر رضي الله عنه، ولا الصحابة، ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قُبَّة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر، وعثمان، وعلي، ومعاوية، ويزيد، ومروان».

٢- ولكن لما تولى ابنه عبد الملك الشام، ووقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة، كان الناس يحجّون فيجتمعون بابن الزبير.

٣- فأراد عبد الملك أن يصرف الناس عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة، وكساها في الشتاء والصيف لِيُرَغِّب الناسَ في زيارة بيت المقدس، ويشتغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير.

٤- وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يعظِّمون الصخرة؛ فإنها قبلة منسوخة، كما أن يوم السبت كان عيدًا في شريعة موسى عليه السلام، ثم نُسِخَ في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة.

٥- فليس للمسلمين أن يخصوا يوم السبت ويوم الأحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى، وكذلك الصخرة إنما يعظّمها اليهود وبعض النصارى.

٦- وما يذكره بعض الجهال فيها، من أن هناك أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم، وأثر عمامته، وغير ذلك، فكله كذب.

وأكذب منه من يظن أنه موضع قدم الرب». اهـ.

سابعًا: قاعدة حول أحاديث الصخرة:

قال الإمام ابن القيم في «المنار المنيف» (ح١٥٦): «كل حديث في الصخرة فهو كذب مفترى، والقدم الذي فيها كذب موضوع، مما عملته أيدي المزوّرين الذين يُروِّجون لها ليكثر سواد الزائرين».

ثم ضرب الإمام ابن القيم مثلاً للأحاديث التي عملتها أيدي المزورين، فقال:

١- «المنار المنيف» (ح١٥٤): «ومن ذلك: الحديث الذي يُروى في الصخرة: «أنها عرش الله الأدنى». تعالى الله عن كذب المفترين». اهـ.

٢- ثم قال في «المنار المنيف» (ح١٥٥): «ولما سمع عروة بن الزبير هذا، قال: «سبحان الله! وسع كرسيه السماوات والأرض، وتكون الصخرة عرشه الأدنى»!».

قلتُ: انظر إلى ما ذكره ابن القيم من تعجُّب عروة بن الزبير من كذب المزورين.

٣- ثم قال الإمام ابن القيم: «وأرفع شيء في الصخرة: أنها كانت قبلة اليهود، وهي في المكان: كيوم السبت في الزمان، أبدل الله بها هذه الأمة المحمدية الكعبة البيت الحرام». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

ترجمة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد

إعداد: فتحي أمين عثمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فهذه كلمات قليلة في ترجمة الشيخ المبارك عبد القادر شيبة الحمد، رحمه الله تعالى، فأقول وبالله التوفيق:

وُلِـدَ الشيخ في ٢٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٩هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٩٢١م في أسرة تنتمي إلى قبيلة بني هلال المعروفة، والتي انتقلت إلى مصر في منتصف القرن الرابع الهجري، وهلال هو ابن عامر بن صعصعة بن قيس بن عيلان من مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

حفظ القرآن الكريم في الكُتاب، والتحق بالأزهر الشريف، وحصل على الثانوية الأزهرية، ثم التحق بكلية الشريعة وحصل منها على شهادة العالمية، وعُين مدرسًا بمدرسة الجنينة ببلاد النوبة، وذلك في شوال سنة ١٣٦٤هـ الموافق أكتوبر من عام ١٩٤٥م.

وقد اتصل رحمه الله تعالى بالشيخ حامد الفقي وصارت له به علاقة وثيقة وطبع في مطبعته تفسير سورة (ص)، وقد تعاقد للتدريس بالمملكة العربية السعودية عام ١٣٧٥هـ، وتولى التدريس في معهد بريدة العلمي ابتداءً من ١٣٧٥هـ إلى أن عُيِّن مدرسًا في كليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض في مطلع العام الدراسي، واستمر في عمله هذا حتى عُيِّن مدرسًا بالقسم العالي في الجامعة الإسلامية.

وقد درس في كليات الشريعة والدعوة وأصول الدين والقرآن، انتدب للتدريس في المعهد العالي للدعوة الإسلامية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم انتقل للتدريس في قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، كما قام بتفسير القرآن العظيم في المسجد النبوي وانتهى منه في أربعة عشر عامًا.

إنتاجه العلمي:

من مؤلفاته المطبوعة:

«حقوق المرأة في الإسلام»، و«الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة»، و«إمتاع العقول بروضة الأصول في أصول الفقه»، و«إثبات القياس في الشريعة الإسلامية والرد على منكريه»، و«من المذاهب الهدامة»، و«تحقيقات عن ليلة القدر»، و«قصص الأنبياء القصص الحق»، و«القصص الحق في سيرة سيد الخلق»، و«تفسير سورة ق، والنجم، واقتربت الساعة التي أمليت على طلبة الشهادة العالمية في كلية اللغة العربية بالرياض، وقد طبعت تحت عنوان أضواء على التفسير في مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية وقصيدة النصيحة وشرحها المسمى بالروضة الفسيحة».

ومن مؤلفاته المطبوعة أيضاً: «تهذيب التفسير وتجويد التأويل مما لحق به من الأباطيل»، وقد تم من أول سورة الفاتحة إلى سورة التوبة في مجلدات، كذلك قام بتحقيق كتاب فتح الباري شرح صحيح البخاري برواية الكشميهني وأبي ذر الهروي، فجزاه الله خير الجزاء، ورحمه الله وجعله مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

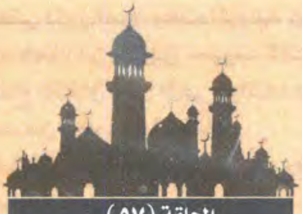

الحلقة (٥٧)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

عموم أئمة أهل السنة يسوقون الإجماع على إثبات صفات (النزول والإتيان والمجيء) لله تعالى على الوجه الذي يليق بجلاله.. من غير تشبيه ولا تجسيم ولا تأويل ولا تفويض

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن غير ما ذكرنا ممن ساقوا الإجماع على إثبات صفات (النـزول والمجيء والإتيـان) لله تعالى ونفي تعطيلها وتأويلها، نذكر ممن صرحوا ونصوا عليه: محدّث الأندلس الحافظ محمد بن وضاح المرواني ٢٨٧، قال: "سألت يوسف بن عدي عن حديث النزول؟، فقال: (نعم أومن به، ولا أحدّ فيه حدّاً)، وسألت يحيى بن معين، فقال: (أقرُّ به، ولا أحُدُّ فيه حدًّا)"، قال محمد: "(كل من لقيتُ من أهل السنة يصدّق بهذا الحديث)، قال: (وقال لي ابن معين: صدِّق به ولا تَصِفْه)". ولفظه كما في (أصول السنة) من طريق زهير بـن عـبـاد: "كل من أدركـتُ من المشايخ: مالك وسفيان وفضيل وعيسى وابـن المبارك ووكيع، كانوا يقولون: النزول حق".. كما جاء عنه قوله: "إذا سمعتَ الجهمي يقول: أنا كفرت بربٍّ ينـزل، فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يريد"، روى ذلك عنه ابن بطة واللالكائي وابن عبد البر وابن قدامة وغيرهم.

وللقاضي الباقلاني ت٤٠٣ قوله -في (الذب عن أبي الحسن الأشعري) له، وفي جوابات للمسائل التي سأله عنها أهل بغداد ورسالته التي بيّن فيها اتفاق الحنابلة والأشاعرة-: "اعلموا أن مذهبنا ومذهب أبي الحسن الذي سطره في سائر كتبه الكبار والمختصرات، هو مذهب الجماعة وسلف الأمة وما مضى عليه الصالحون من الأئمة، من أن كلام الله صفة من صفات ذاته غير مُحْدَث ولا مخلوق، وأنه لم يزل متكلماً".. وذكر الأدلة في ذلك، إلى أن قال:

"ونقول: إنه تعالى يأتي يوم القيامة في ظلل من الغمام والملائكة كما نطق بذلك القرآن، وأنه (ينزل إلى سماء الدنيا فيقول.. الحديث)، وأنه مستو على عرشه كما قال، وقد بينا أن ديننا ودين الأئمة وأهل السنة أن هذه الصفات تمر كما جاءت من غير تكييف ولا تحديد، ولا تجسيم، ولا تصوير، بل كما جاءت بها الأحاديث.. وقد رُوي عن إسحاق أن الأمير (ابن طاهر) سأله عن كيفية النزول، فقال: لا يقال لأمر الرب كيف؟". هـ.

أ- وابن عبد البر يتوسع في إثبات صفات (النزول والمجيء والتجلي) لله تعالى:

وممن ساق الإجماع على ما ذكرنا: الإمام ابن عبد البر ت٤٦٣، قال في التمهيد ١٤٣/٧ لما انتهى إلى شرح حديث النزول: "هذا حديث صحيح، وفيه دليل على أن الله في السماء على العرش فوق سبع سماوات كما قالت الجماعة، وهو من حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: (إن الله في كل مكان وليس على العرش).. والدليل على صحة ما قاله أهل الحق في ذلك" وساق أدلة الاستواء، ثم قال بعد أن دحض شبهات مَن أنكرها:

"ولا ندفع ما وصف به نفسه لأنه دفعٌ للقرآن، وقد قال الله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (الفجر/٢٢)، وليس مجيئُه حركة ولا زوالاً ولا انتقالاً، لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجائي جسماً أو جوهراً، فلما ثبت أنه ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه حركة ولا نقلة، ولو اعتبرت ذلك بقولهم: (جاءت فلانٌ قيامته) و(جاءه الموت) و(جاءه المرض) وشبه ذلك مما هو موجود نازل ولا مجيء، لبان لك"، إلى أن قال:

"وأما قوله عليه السلام: (ينزل تعالى إلى سماء الدنيا)، فقد أكثر الناسُ التنازعَ فيه، والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: (ينزلُ كما قال، ويُصدِّقون بهذا الحديث ولا يُكيِّفون، والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء، والحجة في ذلك واحدة، وقد قال قومٌ: إنه ينزلُ أمرُه وتنزلُ رحمته، ورُوي ذلك عن حبيب كاتب مالك وغيره، وأنكره آخرون، وقالوا: هذا ليس بشيء؛ لأن أمرَه ورحمته لا يزالانِ ينزلان أبدًا في الليل والنهار".

ولو عرفنا أن حبيب هذا -على حد ما جاء في مجموع الفتاوى ٤٠١/٥، ٤٠٢- "كذّاب باتفاق أهل العلم بالنقل، لا يَقبل أحدٌ منهم نقْله عن مالك"، لبان صواب وصدق مَن أنكروا تأويل (النزول) بنزول أمره ورحمته.. وعليه فما نقله حبيبٌ عن مالك من أنه قال: "يتنزل أمره" غير صحيح؛ وقد رده الموصلي في مختصر الصواعق قائلاً: "إن المشهور عن مالك وعن أئمة السلف إقرار نصوص الصفات والمنع من تأويلها"، قال: "وقد روي عنه أنه تأول قوله: (ينزل ربنا) بمعنى نزول أمره، وهذه الرواية لها إسنادان:

أحدهما: من طريق حبيب كاتبه، وهو كذّاب وضّاع باتفاق أهل الجرح والتعديل، ولم يعتمد أحد من العلماء على نقْله.

والثاني: فيه مجهول لا يُعرف حاله، فمن أصحابه من أثبت هذه الرواية، ومنهم من لم يثبتها؛ لأن المشاهير من أصحابه لم ينقلوا عنه شيئاً من ذلك"ا.هـ.

قال أبو عمر -يوسف بن عبد البر-: "وقال آخرون: ينزل بذاته"، وساق لذلك أثر نعيم بن حماد، وفيه قوله: (ينزل بذاته وهو على كرسيِّه)، قال أبو عمر: "ليس هذا بشيء عند أهل الفهم من أهل السنة؛ لأن هذا كيفيَّة، وهم يفزعون منها؛ لأنها لا تصلح إلا فيما يحاط به عياناً، وقد جلَّ الله وتعالى عن ذلك)"، وجعل يسوق عقيدة أهل السنة ويقول: "ما غاب عن العيون فلا يصفه ذوو العقول إلا بخبر، ولا خبر في صفات الله إلا ما وصف نفسه به في كتابه أو على لسان رسوله، فلا نتعدَّى ذلك إلى تشبيه أو قياس أو تمثيل أو تنظير.

قال: أهل السنة مُجْمِعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يُكيِّفون شيئًا من ذلك، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة والخوارج، فكلهم يُنكرها ولا يحملون شيئاً منها على الحقيقة، ويزعمون أن مَن أقرَّ بها مُشَبِّه، وهم عند مَن أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسُنَّة رسوله، وهم أئمة الجماعة".

ثم راح يسوق جملة من أحاديث الصفات ومنها أحاديث في النزول، وينقل قول أحمد بشأنها وبشأن نظائرها: "كل هذا صحيح"، وقول إسحاق شيخ البخاري: "كل هذا صحيح، ولا يدعه إلا مبتدعٌ أو ضعيف الرأي"، وقول ابن عيينة: "هذه الأحاديث نرويها ونقرُّ بها كما جاءت بلا كيف"، وقول الأوزاعي والثوري ومالك والليث: "أمرُّوها كما جاءت بلا كيف"، وقول ابن معين: "أقَرَّ به ولا تَحُدَّ فيه بقول، كل من لقيتُ من أهل السنة يُصَدِّق بحديث النزول"، وقول وكيع:

"أدركتُ إسماعيل بن أبي خالد وسفيان ومسعر يحدّثون بهذه الأحاديث ولا يفسرون شيئاً"، يعني: بما يخالف أوضاع اللغة فيُخرجها عن ظاهرها كما كان يفعل الجهمية والمعطلة الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الأثبات، على ما أفاده ابن تيمية بالحموية.

قال أبو عمر: "الذي عليه أهل السنة وأئمة الفقه والأثر في هذه المسألة: الإيمان بما جاء عن النبي فيها، والتصديق بذلك وترك التحديد والكيفية في شيء منه.. ومن نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وسعد وعبد الرحمن، وسائر المهاجرين والأنصار، وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجاً.. علم أن الله لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين ودلائل الرسالة، لا من قِبَل حركة، ولا من باب الكل والبعض، ولا من باب (كان) و(يكون).. ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجباً، وفي الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازماً، ما أضاعوه؛ ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم، ولو كان ذلك من عملهم مشهوراً ومن أخلاقهم معروفاً لاستفاض عنهم ولشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات.. وقول رسول الله: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) عندهم مثل قول الله: (فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ) الأعراف/١٤٣) وقوله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) الفجر/٢٢)، كلهم يقول: ينزل ويتجلى ويجيء بلا كيف، لا يقولون: كيف يجيء؟، وكيف يتجلى؟، وكيف ينزل؟، ولا من أين جاء؟، ولا من أين تجلى؟، ولا من أين ينزل؟، لأنه ليس كشيء من خلقه، وتعالى عن الأشياء.. وفي آية الأعراف دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجلياً للجبل، وفي ذلك ما يفسر حديث التنزيل".

وحسبك من هذا الإمام الحبر -من غير حكاية إجماع الصحابة وجميع أئمة السنة- بيان أن مذهبهم على وجوب حمل صفات الله الخبرية منها والفعلية على الحقيقة، وأن تأويلها من شأن أهل البدع.

ب- كما ينقل الإجماع على بطلان تأويلات الأشاعرة: الأصبهاني والمقدسي

وممن أنكر التأويل فيما ذكرنا وأظهر معتقد أهل السنة فيها: الحافظ الأصبهاني ت٥٣٥، قال في كتابه (الحجة) ٣١٢/١ بعد أن ذكر من النصوص حديث النزول وبعضاً من الصفات الخبرية والفعلية:

"فهذا وأمثاله مما صح نقله عن رسول الله، فإن مذهبنا فيه ومذهب السلف: إثباته وإجراؤه على الظاهر، ونفي الكيفية والتشبيه عنه، وقد نفى قوم الصفات فأبطلوا ما أثبته الله، وتأولها قوم خلاف الظاهر فخرجوا من ذلك إلى ضرب من التعطيل والتشبيه، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، لأن دين الله بين الغالي فيه والمُقْصر عنه".

كما نقل في المجلد الثاني ص١٢٧ كلام الصابوني وابن المبارك السالف الذكر، وما كان من ابن راهويه مع أمير خراسان عبد الله بن طاهر.. وقال ٣١٠/٢ ما نصه: "ومن مذهب أهل السنة: الإيمان بجميع ما ثبت عنه عليه السلام في صفة الله كحديث: (ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا).. والإيمان بما ورد في القرآن من صفات الله كـ(اليد والإتيان والمجيء)، وإمرارها على ما جاءت، لا تُكيَّف ولا تُتأول".

وتحت ما عقده بـ(فصل: في مذهب أهل السنة) ٤٣٢/٢ يقول: "أهل السنة يعتقدون أن الله.. ينزل كل ليلة كما جاء في الحديث"، وذكر من صفاته تعالى: (الكلام والاستواء والوجه واليد والكف والقدم والأصبع والغضب والرحمة).. إلخ، وعقّب يقول: "فإنه يجب إطلاق القول بها على ما ورد الخبر، من غير أن يُصوَّر ذلك في الفكر، أو تُخَيَّل، أو تُوْهم".. كما أجمل بنفس المجلد ص٥٠٢ عبارة فقيه العراق ابن سريج التي مرت بنا.

وفي كتابه (ذم التأويل) -وبعد أن ساق في إثبات النزول ونحوه مقولات ابن عيينة وأحمد السالفة الذكر- يقول ابن قدامة ت٦٢٠ في ذكر

إجماع السلف ووجوب اتباعهم:

"إن السلف لا يخلو إما أن يكونوا علموا تأويل هذه الصفات، أو لم يعلموا، فإن لم يعلموه فكيف علمناه نحن؟، وإن علموه ووسعهم أن يسكتوا عنه، وجب أن يسع المسلمين ما وسعهم.. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم من جملة سلفنا الذين سكتوا عن تفسير الآيات والأخبار التي في الصفات -يعني عن تأويلها- وهو حجة الله على خلق الله أجمعين، فإنه يجب عليهم اتباعه ويحرم عليهم خلافه، وقد شهد الله بأنه على الصراط المستقيم وأنه يهدي إليه، وأن من اتبعه أحبه الله ومن عصاه فقد عصى الله".. إلى أن قال:

"وأما الإجماع، فإن الصحابة أجمعوا على ترك التأويل بما ذكرناه عنهم، وكذلك أهل كل عصر بعدهم، ولم يُنقل التأويل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى بدعة، والإجماع حجة قاطعة، فإن الله لا يجمع أمة محمد على ضلالة، ومَن بعدهم من الأئمة صرحوا بالنهي عن التأويل، وأَمَرُّوا بإمرار هذه الأخبار كما جاءت، وقد نقلنا إجماعهم عليه، فيجب اتباعه ويحرم خلافه، ولأن تأويل هذه الصفات لا يخلو من أن يكون داخلاً في عَقد هذا الدين بحيث لا يكمل إلا به أو ليس بداخل، فمن ادعى أنه داخل في عقد الدين لا يكمل إلا به، فيقال له: هل كان الله صادقاً في قوله: (اليوم أكملت لكم دينكم.. المائدة/٣) قبل التأويل، أم أنت الصادق في أنه كان ناقصاً حتى أكملته أنت؟، ولأنه إن كان داخلاً في عقد الدين ولم يقبله النبي ولا أصحابه وجب أن يكون قد أخلوا، ودينهم ناقص ودين هذا المتأول كامل، ولا يقول هذا مسلم، ولأنه إن كان داخلاً في عقد الدين ولم يُبلغه النبي أمته فقد خانهم وكتم عنهم دينهم، ويكون عليه السلام ومن شهد له بالبلاغ غير صادق، وهذا كفر بالله ورسوله" ا.هـ

كما ساق ابن قدامة في نهاية كتابه (صفة العلو لله) قول محمد بن الحسن والشافعي وابن عبد البر في صفة النزول.. وأيضاً نقل في مقدمة كتابه (لمعة الاعتقاد) قول أحمد: "(إن الله ينزل إلى سماء الدنيا) و(إن الله يُرى يوم القيامة) وما أشبه هذه الأحاديث: نؤمن بها ونُصدِّق بها ولا نَردُّ شيئاً منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نردُّ على رسول الله، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غاية، ونقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه لا نتعدى ذلك، ولا يبلغ وصفه الواصفون.. لا نتعدى الآية والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول وتثبيت القرآن".

وكذلك نقل عن الشافعي قوله: "آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله"، وتابع يقول: "وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف، كلهم متفقون على الإقرار، والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله من غير تعرض لتأويله، وقد أُمرنا باقتفاء آثارهم والاهتداء بمنارهم، وحُذِّرنا المحدثات وأُخبرنا أنها من الضلالات"، وساق الآثار في ذلك وبين أن هذا من السنة.. ثم قال:

"ومن السنة قوله عليه السلام: (ينزل ربنا كل ليلة.. الحديث).. فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعُدِّلتْ روايته: نؤمن به ولا نرده ولا نجحده، ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نُشبِّهه بصفات المخلوقين ولا بسمات المُحْدثين، ونعلم أن الله لا شبيه له ولا نظير.. وكل ما يُخَيَّلُ في الذهن أو خطر بالبال، فإن الله بخلافه".. إلى أن قال: "فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف على نقله وقبوله، ولم يتعرضوا لردِّه ولا تأويله ولا تشبيهه ولا تمثيله" إ.هـ.. ونكتفي بهذا القدر وإلا فالكلام في ذلك لا ينتهي.

ونخلص من هذا: إلى أن السلف مجمعون على إثبات النزول لله بلا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل، ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول.. وأن أبا الحسن الأشعري موافق للسلف في ذلك.. وإلى ظهور بطلان وكذب دعوى الأشاعرة في أنهم متبعون للسلف سائرون على نهجهم، وبخاصة إذا علمنا أن السلف كانوا يُقصرون التفويض على كيفية الصفات دون معانيها، خلافاً لما فهمه الأشاعرة بطريق الخطأ من أنهم كانوا يفوضون المعنى كذلك.. وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث..

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثانية

وقفات مع غزوة أحد

(حمراء الأسد)

إعداد عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير، والصلاة والسلام على البشير النذير محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وإخوانه من النبيين والمرسلين، وبعد:

في المقال السابق عن غزوة أُحُد أطللنا عليها إطلالة عامة بيَّنا فيها تاريخ الغزوة، وأسبابها، ثم عِشْنا مع بطولات نادرة لأبطال المسلمين في أُحُد واستبسالهم في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم رأينا كيف ثبت النبيُّ صلى الله عليه وسلم ومن معه بعد ما أصابهم القرح والذي أشار إليه القرآن في قوله تعالى: « ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ » (آل عمران:١٥٢).

أولاً: وقفنا مع هذه الآية وقفة مختصرة:

واسمحوا لي الآن أن نعيد النظر مرة أخرى مع هذه الآية المحورية في غزوة أُحُد، ولعل من حكم المولى سبحانه وتعالى أن سجل في كتابه أحداث هذه الغزوة في مراحلها المختلفة، ثم تحدث عن الحِكَم العليا في هذه الغزوة والتي تحتاج إليها الأمة المسلمة في صراعها المستمر مع أعدائها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وفي بداية حديث اليوم سنقف وقفة فيها مزيد من التأمل في هذه الآية لأهميتها، ثم نواصل الحديث، ونذكر نص الآية أولاً؛ قال تعالى: « وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ » (آل عمران:١٥٢)، وبالنظرة المتأملة في هذه الآية الكريمة نلاحظ أنها بيَّنت مصدر النصر وأسبابه وموانعه، أو قل أسباب الهزيمة وتأخر النصر.

أما مصدر النصر فهو من عند الله، وقد أشارت الآية إلى ذلك بوضوح؛ حيث قال الله: « وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ » (آل عمران:١٥٢) أي: بالنصر على أعدائكم، والدليل هو ما حدث في أول المعركة « إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ » (آل عمران:١٥٢) أي: تحصدونهم قتلاً كما تحصدون الزرع، وهذا الذي حدث كان (بإذنه)؛ أي: بإذن الله سبحانه مكَّنكم من أكتافهم ورقابهم؛ وذلك لأن النصر لا مصدر له إلا الله، ولذلك قال الله تعالى: « وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ » (آل

عمران:١٢٦)، وقال تعالى: « أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ » (الملك:٢٠)، وقال تعالى: « إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ » (آل عمران:١٦٠). فهو سبحانه الذي ينصر من يشاء ويخذل من يشاء، وكما أن للنصر أسبابه فالخذلان أيضًا له أسبابه، وتأمل كيف بَيَّن الله ذلك، قال تعالى: « إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِي ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ » (آل عمران:١٥٢)؛ أراكم ما تحبون من النصر في بادئ الأمر وقبل الفشل والنزاع والمعصية وهي مخالفة الرماة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر قائدهم والاختلاف عليه، وكانت النتيجة « صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ » (آل عمران:١٥٢)، فالله سبحانه هو الذي أراكم ما تحبون وهو الذي صرفكم عنهم، وهذا العطاء والمنع خاضع لحكمة العليم الحكيم- سبحانه- والحكمة الواضحة في أسباب المنع والخذلان هي الفشل والتنازع في الأمر والمعصية، وقد أشار القرآن الكريم بوضوح إلى أسباب النصر والخذلان في سورة الأنفال حين قال سبحانه: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ » (الأنفال:٤٥- ٤٧)، وهذا مبسوط في كتاب الله في أكثر من موضع.

والخلاصة أن الله سبحانه يمنح نصره لمن يشاء من عباده بأسبابه ويمنعه ممن يشاء أيضًا بأسبابه، ولقد لخص الله سبحانه وتعالى ذلك في آية أخرى بقوله: « أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (آل عمران:١٦٥)، لما تساءل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن سبب ما أصابهم في أُحد وقالوا: «أنَّى هذا» كيف هذا؟ بيَّن لهم العلَّة والسبب فقال: « هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ » (آل عمران:١٦٥) أي: بسبب مخالفتكم ومعصيتكم، وأنا أتساءل: إذا كان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد خالفوا أمرًا واحدًا له فأصابهم ما أصابهم؟ فكم بالمخالفات التي وقع فيها المسلمون في العصور المتأخرة إلى يومنا هذا؟! وكم من العقوبات يجب أن تقع عليهم؟!

وقد أرجع الله سبب الفشل والتنازع إلى سبب واحد في قوله تعالى: « مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ » (آل عمران:١٥٢)، وإذا كان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الأبرار من وقع عليهم هذا الوصف، « وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ » (آل عمران:١٥٢)، فكم من المسلمين اليوم يقع عليهم هذا الوصف مثل بعض الرماة الذين وقع عليهم هذا الوصف؛ لأنهم انشغلوا بجمع الغنائم وتركوا مواقعهم فما حال المسلمين اليوم؟ أصدق ما يوضِّح حال المسلمين في العصور المتأخرة هو قول النبي صلى الله عليه وسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قالوا: ومن قلة يومئذ؟ قال: بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن. قالوا: ما الوهن؟ قال: حبّ الدنيا وكراهية الموت». والحديث أخرجه أبو داود وأحمد وغيرهما، وصححه الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة.

فالمسلمون اليوم انغمسوا في الدنيا وأُشربوها في قلوبهم، إلا من رحم الله، وهذا من أهم أسباب ضعفهم وهوانهم.

وأوضاع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لا تخفى على أحد ولا تحتاج مني إلى مزيد بيان، والحل واضح هو العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهدي السلف الصالح الأبرار.

ثانيًا: الأمور بخواتيمها والعبرة بالنهايات:

حقَّق المشركون نصرًا خاطفًا في أُحُد ثم قفلوا عائدين إلى مكة أرسل النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الغزوة مباشرة لمعرفة اتجاه القوم

ووجهتهم، فقال له اخرج في آثار القوم، وانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون فإن كانوا جنَّبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم، قال علي: فخرجت في أثرهم ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل. هكذا نقل صاحب البداية والنهاية.

وبعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة باتوا ليلتهم يحرسون مداخل المدينة، وكانوا على خوف من عودة المشركين إلى المدينة مرة أخرى، قال صاحب الرحيق المختوم: "بات الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يفكر في الموقف، فقد كان يخاف أن المشركين إن فكروا في أنهم لم يستفيدوا شيئًا من النصر والغلبة التي كسبوها في ساحة القتال، وهذا ما حدث حقًّا لما نزلوا بالروحاء على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة أخذوا يتلاومون، قال بعضهم لبعض: لم تصنعوا شيئًا، وقال أبو سفيان: لا محمدًا قتلتم ولا الكواعب أردفتم، شر ما صنعتم، وعندما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ما كانت تعزم عليه قريش من العودة إلى المدينة خرج بمن حضره من المسلمين يوم أُحُد دون غيرهم إلى حمراء الأسد.

قال ابن إسحاق: «كان أُحُد يوم السبت للنصف من شوال، فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر من شوال: أذَّن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يطلب العدو، وأن لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس. وقد استجاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم للخروج ومنهم الذين أصيبوا بالجروح، وسار النبي صلى الله عليه وسلم وسار المسلمون معه حتى وصلوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة، وهناك أقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن إسلامه، فأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يلحق أبا سفيان ويخذّله عن المسلمين، وكان أبو سفيان لم يعلم بإسلامه، وقبل أن يتحرك أبو سفيان من مكانه بجيشه عازمًا على العودة إلى المدينة لحقه معبد الخزاعي، فقال أبو سفيان: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد اجتمع ومن معه يطلبكم في جَمْع لم أرَ له مثيلاً من قبل يتحرقون عليكم تحريقًا، وقد اجتمع من كان معه ومن تخلف عنه في يومكم وندموا على ما ضيعوا، قال أبو سفيان: ويحك ما تقول؟ قال معبد: والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل- أو- حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة، وحينئذٍ انهارت عزائم الجيش المكي.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه قد عسكر قريبًا من جيش المشركين، وأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يشعلوا نارًا فكانوا يشعلون في وقت واحد خمسمائة نارًا، ومما لا شك فيه أن غزوة حمراء الأسد ليست غزوة مستقلة، وإنما هي جزء من غزوة أُحُد، وتتمة لها وصفحة من صفحاتها.

ومكث المسلمون في حمراء الأسد أيامًا حتى تأكدوا من عودة الجيش المكي أدراجه ثم عادوا إلى المدينة بروح قوية متوثبة غسلت عار ما أصابهم ومسحت مغبة الفشل فدخلوها أعزة رفيعي الجانب، متعالين عما حققه المشركون، وأحبطوا شماتة اليهود والمنافقين، وقد سجل القرآن الكريم هذا الموقف في قوله تعالى: «ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ (١٧٣) فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ » (آل عمران:١٧٣-١٧٥)، اللهم اجعلنا منهم،

وإلى اللقاء إن شاء الله تعالى.

نشأة النبي صلى الله عليه وسلم يتيمًا وتربية الله تعالى له

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد أراد جل وعلا أن ينشأ نبيُّه يتيمًا بعيدًا عن تربية أبيه وأمه وجده، حتى لا يكون للمبطلين سبيلٌ إلى إدخال الرِّيبة في القلوب، أو إيهام الناس بأن محمدًا إنما نشأ فيه حب الرسالة واصطناع النبوة ليصل إلى جاه الدنيا، وأيضًا: حتى لا يزعم أحد أن اليُتْم نقمةٌ تَحُولُ بين صاحبها عن بلوغ أسمى المراتب؛ بل تكون الأسوة الحسنة لكل يتيم في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كانت تربية الله وعنايته به أفضل وأكمل وأحكم وأحسن من أي تربية أخرى، وصدق الله حيث أظهر منَّتَه على نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ» (الضحى: ٦).

وما نشأة موسى عليه السلام وتربيته في بيت فرعون بعيدًا عن أهله وأقاربه بخافية على أحد، كما هو جلي واضح في أول سورة القصص. وليس معنى هذا أن يهمل الأبوان أبناءهما أو أن يقصرا في ذلك؛ بل لهما دورٌ ينبغي أن يقوما به، وعليهما واجب ينبغي أن يؤدياه، ثم بعد

إعداد: د. سعيد صوابي

ذلك يكون من الله وحده التوفيق والهداية؛ إنه هو الذي هدى إسماعيل أن يجيب أباه حين عرض عليه ذبحه بقوله: «يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ» (الصافات: ١٠٢). وفي الصورة المقابلة نجد نوحًا عليه السلام وهو يدعو ابنه للنجاة من الغرق والموت: «يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ» فأبى الولد، وأجاب: «قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ» (هود ٤٧:٤٢).

والقصة معروفة، فَمَن الذي وفق ذاك وخذل هذا؟!! إنه الله تعالى القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل جارحة بما اقترفت، الخبير العليم بكل شيء.

شقُّ الصَّدْر والحكمة منه:

وهذا حدَث آخر حسِّي ملموس يَظهر فيه تعهُّدُ الله تعالى لنبَيه صلى الله عليه وسلم وصيانتُه له منذ صغره، فيُحَدِّثُ خادمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة؛

أنس بن مالك الأنصاري: «أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلاَم وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِه، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَان مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْت مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِه، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إلَى أُمِّه يَعْني ظِئْرَهُ -أي: مرضعته- فَقَالُوا: إنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرى أَثَرَ ذَلكَ الْمِخْيَط فِي صَدْرِه". (صحيح مسلم حديث ٢٦١ ، مسند الإمام أحمد ٣/١٢١، ١٤٩، ٢٨٨).

ولقد تكرر حادث شق الصدر أكثر من مرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم غير تلك التي وقعت له في بادية بني سعد، ففي زوائد المسند: أن شق الصدر قد وقع له صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين وأشهر. (الفتح الرباني ٢٠/١٩٥ وقال العلاَّمة عبدالرحمن الساعاتي: رجاله ثقات).

وفي كُتب السنة بأسانيد صحيحة من حديث مالك بن صعصعة في معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم أن شق صدره صلى الله عليه وسلم قد وقع له ليلة الإسراء بعد أن تجاوز الخمسين من عمره. (صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار/باب: المعراج ٧/٢٠١، ٢٠٢، وصحيح مسلم: في الكتاب والباب المتقدمين قبل هذا، وانظر: ١/٢٢٣: ٢٢٦).

فأي رعاية، وأي عناية أعظم من هذه؟!!

وبالرغم من تعدد تلك الحادثة في حياته صلى الله عليه وسلم والكلمات الصريحة من أنس بن مالك راوي الحديث الذي يقول: «وَقَدْ كُنْتُ أَرى أَثَرَ ذَلكَ الْمِخْيَط فِي صَدْرِه» إلا أن كثيرين من أصحاب المدرسة العقلانية من المستشرقين وبعض المفتونين بهم من المسلمين ذهبوا إلى تأويل تلك الحادثة، زاعمين أنها أمر معنوي، مثل قوله تعالى: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) (الشرح: ١).

ومنهم من أنكر وقوع حادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكلية دون التفات إلى ثبوتها وصحة الأحاديث المصرحة بوقوعها أكثر من مرة في نشأته صلى الله عليه وسلم الأولى؛ بل وبعد بعثته.

كما أن من البدهيات المسلمة؛ والحقائق التي لا شك فيها: أن ميزان قبول الخبر هو استيفاؤه لشروط الصحة، فإذا ثبتت: فلا ينبغي ردّه ولا تأويله.

وقد كفانا شيخنا الأستاذ الدكتور: محمد محمد أبو شهبة رحمه الله في الرد عليهم وألقمهم أحجارًا، فجزاه الله خير الجزاء. (انظر السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة ٢/٢٠٣: ٢١١ حيث ناقش المنكرين لشق الصدر والمشككين فيه).

ومن أوجز ما قيل في حادثة شق الصدر قول الحافظ ابن حجر: «وقد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء، وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد، ولا إنكار في ذلك، فقد تواردت الروايات به، وثبت شق الصدر أيضًا عند البعثة، كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل، ولكل منهما حكمة؛ فالأول: وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس: «فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ»، وكان هذا في زمن الطفولية، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان، ثم وقع شق الصدر عند البعث زيادة في إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الإسباغ بحصول المرة الثالثة، كما تقرر في شرعه صلى الله عليه وسلم، وجميع ما ورد في شق الصدر، واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة: مما يجب التسليم له، دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك". (فتح الباري ٧/٢٠٤، ٢٠٥، وانظر: دلائل النبوة لأبي نُعيم ص ١٧١).

والحمد لله رب العالمين.

الكفارات في الحج

إعداد: محمد عبد العزيز

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الله تعالى كلَّف عباده من الثقلين الجن والإنس بالعبادة تكليف ابتلاء واختبار قال تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦)، وقد حملا الأمانة التي أشفقت سائر المخلوقات من حملها قال تعالى: « إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » (الأحزاب: ٧٢)

وركَّب فيهم من الغرائز والحاجات ما يتم به الابتلاء والاختبار، وبعث فيهم الأنبياء والمرسلين، وأنزل لهم الكتب تُبيِّن لهم منهاج عملهم وما يتقون، وكتب عليهم الحسنات والسيئات، وأحصى لهم أعمالهم ليجازيهم عليها.

فعامَلهم إذا أثابوا بفضله وكرمه فضاعف لهم الحسنات ورفع لهم الدرجات، وعاملهم إذا أساؤوا بعدله، ومن بيان ذلك ما رواه حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «إِنَّ الله كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ:

فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا الله سَيِّئَةً وَاحِدَةً» أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (٢٠٧).

ثم إن الله تعالى من فضله ورحمته بعباده أن جعل لهم مع ذلك كفارات للَّمم، والذنوب، والخطايا، والآثام إن هم ألَمُّوا بمعصية الله تعالى ففعلوها، يقول البغوي في تفسيره (٥/٤٠٣): «المؤمن لا يُبتَلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجًا، بعضها بالتوبة، وبعضها بردّ المظالم والقصاص، وبعضها بأنواع الكفارات،

فليس في دين الإسلام ذنب لا يَجد العبدُ سبيلاً إلى الخلاص من العقاب فيه».

تعريف الكفارات لغة واصطلاحًا:

الكفارات لغة: جمع سالم لكلمة: كفَّارة، وهذه الكلمة مشتقة من الكفر، والكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية.

يقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه، والمكفر: الرجل المتغطي بسلاحه، ويقال للزارع كافر؛ لأنه يغطي الحب بتراب الأرض. قال الله تعالى: «ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ» (الحديد: ٢٠)

وفي التهذيب: سُمِّيت الكفارات كفارات لأنها تكفر الذنوب، أي تسترها، مثل كفارة الأيمان، وكفارة الظهار والقتل الخطأ.

(ينظر: معجم مقاييس اللغة (١٩١/٥)، ولسان العرب (١٤٨/٥)، وتاج العروس (٦٢/١٤) مادة: كفر).

والكفارة اصطلاحًا: عرفت بتعريفات منها ما قاله النووي-رحمه الله تعالى- في المجموع (٣٣٣/٦): «وأما الكفارة فأصلها: من الكَفر بفتح الكاف وهو الستر؛ لأنها تستر الذنب وتذهبه هذا أصلها، ثم استُعملت فيما وجد فيه صورة مخالفة أو انتهاك، وإن لم يكن فيه إثم كالقاتل خطأ وغيره».

فيؤخذ من تعريفه: أن الكفارات أفعال مخصوصة يفعلها العبد، أو تقع عليه فيكون من شأنها أنها تمحو الذنب، وهي تطلق إطلاقين:

الأول: إطلاق عام، وهي كل ما من شأنه أن يستر الذنب ويمحوه ويذهبه، وسنصطلح على تسميتها بالكفارات العامة، وهذا النوع متفرق في كتب الفضائل، والآداب، والرقاق، والأخلاق، وغيرها.

الثاني: إطلاق خاص، وهي كل ما قُدِّر في الشرع تكفيرًا لما فيه صورة مخالفة وهذه متفرقة في أبواب الفقه، وهي كثيرة، ومن أمثلتها: كفارة الحنث في اليمين، كفارة النذر، كفارة من أتى حائضًا، كفارة الجماع في نهار رمضان، كفارة من ارتكب محظورًا أو ترك واجبًا في الحج، وغيرها كثير.

وسوف نتناول في تلك السطور الكفارات في الحج خاصة، فنقول مستعينين بالله تعالى:

الكفارات في الحج تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كفارة بسبب فعل محظور.

القسم الثاني: كفارة بسبب ترك واجب.

القسم الثالث: كفارة سببها الإحصار عن البيت، أو فوات الحج.

أما القسم الأول: فإن محظورات الإحرام تنقسم عند أهل العلم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: ما لا كفارة مقدَّرة فيه، لكن يجب منه التوبة: وهو الخِطْبَة، وعقد النكاح؛ لحديث عثمان بن عفان-رضي الله عنه- أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا يَنكِحُ المُحْرِمُ، وَلا يُنْكَحُ، وَلَا يَخْطُبُ» أخرجه مسلم (١٤٠٩).

النوع الثاني: ما فديته مغلظة: وهو الجماع في الحج؛ لقوله تعالى: «فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ» (البقرة: ١٩٧) والرفث: فسره ابن عباس بالجماع.

قال ابن القطان الفاسي في كتابه: الإقناع (٢٥٧/١): «أجمع العلماء أن وطء النساء على الحاج حرام من حين يحرم إلا أن يطوف للإفاضة، والرفث في هذا الموضع الجماع عند جمهور علماء القرآن، وقيل غيره».

والإجماع منعقد على أن من وطئ قبل وقوفه بعرفة فقد أفسد حجه، ومن وطئ من المعتمرين قبل طوافه وسعيه فقد أفسد عمرته.

واختلفوا فيمن وطئ أهله بعد عرفة قبل رميه الجمرة، وفيمن وطئ قبل الإفاضة.

ويترتب على هذا المحظور عندهم أشياء، وهي:

١- فساد الحج بإجماع.
٢- وجوب المضي في نسكه لدخوله فيه، ولقوله تعالى: « وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ » (البقرة: ١٩٦).
٣- أن الكفارة عليه بدنة.
٤- وجوب قضاء الحج من قابل.
وتترتب عليه هذه الأحكام لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- قال: «أتى رجل ابن عمر فسأله عن محرم وقع بامرأته؟ فأشار له إلى عبد الله بن عمرو فسأله فقال: بطل حجُّه.
قال: فيقعد؟ قال: لا، بل يخرج مع الناس فيصنع كما يصنعون، فإذا أدركه قابل، حجَّ وأهدى، فرجعا إلى عبد الله بن عمر فأخبراه.
فأرسلنا إلى ابن عباس، فسأله فقال له مثل ما قال ابن عمرو.
فرجع إليه فأخبره فقال له الرجل: ما تقول أنت؟ فقال: مثل ما قالا» أخرجه ابن أبي شيبة (١٤٢/٤/١). وهو حديث صحيح.
ولا مخالف لهم في الصحابة فكان إجماعًا، قال ابن القطان الإقناع (٢٥٧/١): «وأجمعوا أن الحج لا يفسد لشيء من ذلك إلا الجماع».
النوع الثالث: ما فديته الجزاء بمثله أو بدله: وهو قتل الصيد البري، أو الإشارة أو الدلالة عليه؛ لقوله تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ » (المائدة:٩٥).
ولحديث أبي قتادة الذي فيه: «فلما انصرفوا أحرموا كلهم إلا أبا قتادة لم يُحرم، فبينما هم يسيرون إذ رأوا حُمُر وحش، فحمل أبو قتادة على الحمر فعقر منها أتانًا، فنزلوا فأكلوا من لحمها، وقالوا: أنأكل لحم صيد ونحن محرمون؟
فحملنا ما بقي من لحم الأتان، فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، إنا كنا أحرمنا، وقد كان أبو قتادة لم يحرم، فرأينا حُمُر وحش، فحمل عليها أبو قتادة فعقر منها أتانًا، فنزلنا فأكلنا من لحمها، ثم قلنا: أنأكل لحم صيد ونحن محرمون؟
فحملنا ما بقي من لحمها، قال: منكم أحدٌ أمره أن يحمل عليها أو أشار إليها؟
قالوا: لا، قال: «فكلوا ما بقي من لحمها» أخرجه البخاري (١٨٢٤)، ومسلم (١١٩٦).
والكفارة هنا:
١- ذبح مثل ما قتل-إن كان له مثل- والتصدق به على فقراء الحرم.
٢- أن يُقَوِّم المثل مالاً، والمال طعامًا، ويتصدق به على مساكين الحرم لكل مسكين مُدًّا.
٣- أن يصوم بدل الإطعام: عن كل مُدٍّ يومًا.
وهذا الذي تقدم هو مذهب جمهور أهل العلم من الصحابة، والتابعين، وأئمة المذاهب المتبوعين.
النوع الرابع: ما فديته فدية أذى: وهو بقية محظورات الإحرام كالحلق، أو التقصير، أو الأخذ من الأشعار، أو لبس المخيط، أو تغطية الرأس، أو قص الأظفار، أو التطيب.
وهذه الفدية على التخيير بين ثلاثة أشياء:
١- ذبح شاة، لمساكين الحرم.
٢- إطعام ستة مساكين، لكل مسكين الحرم نصف صاع من طعام.
٣- صيام ثلاثة أيام، في أي مكان.
لقوله تعالى: «فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ » (البقرة: ١٩٦)
ولحديث عبد الله بن معقل، قال: قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد يعني مسجد الكوفة، فسألته عن فدية من صيام، فقال: «حُمِلْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي. فَقَالَ: مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ الْجَهْدَ قَدْ بَلَغَ بِكَ هَذَا، أَمَا تَجِدُ شَاةً؟ قُلْتُ: لاَ.
قَالَ: صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّام، أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ طَعَام، وَاحْلِقْ رَأْسَكَ. فَنَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً وَهِيَ لَكُمْ عَامَّةً» أخرجه البخاري (٤٥١٧)، ومسلم (١٢٠١).

القسم الثاني: كفارة بسبب ترك واجب.

وواجبات الحج سبعة على الراجح، وهي:

١- الإحرام من الميقات.

٢- جمع جزء من الليل لمن وقف بعرفة نهارًا.

٣- المبيت بمنى ليالي أيام التشريق لغير أهل السقاية، ومن في معناهم، والمعتبر فيه أغلب الليل.

٤- المبيت بمزدلفة ليلة النحر، أو معظم الليل للضعفاء ونحوهم.

٥- رمي جميع الجمار.

٦- الحلق أو التقصير.

٧- طواف الوداع لغير أهل مكة عند الخروج منها، وقد رُخص للحائض والنفساء الخروج من مكة بغير طواف؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِمْ بِالبَيْتِ، إِلاَّ أَنَّهُ خُفِّفَ عَنِ المَرْأَةِ الحَائِضِ» أخرجه البخاري (١٧٥٥)، ومسلم (١٣٢٨).

فمن ترك من هذه الواجبات نُسُكًا فعليه دم لحديث ابن عباس-رضي الله عنهما-: «مَنْ نَسِيَ مِنْ نُسُكِه شَيْئًا، أَوْ تَرَكَهُ فَلْيُهْرِقْ دَمًا» أخرجه مالك في الموطأ (٢٤٠).

القسم الثالث: كفارة سببها الإحصار عن البيت، أو فوات الحج.

والمراد بالإحصار: منع المحرم من إتمام الحج بالعدو إجماعًا، ومنعه من دخول مكة أو إتمام النسك بالمرض، أو ذهاب النفقة، أو الحبس، أو بأيّ عذر مانع؛ لقوله تعالى: «فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ» (البقرة: ١٩٦).

ولحديث الحجاج بن عمرو الأنصاري قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «من كُسِرَ أو عَرَجَ، فقد حَلَّ، وعليه الحجُّ من قابل». قال عكرمة: فسألتُ ابن عباس وأبا هريرة عن ذلك فقالا: صَدَقَ. أخرجه أبو داود (١٨٦٢)، والترمذي (٩٥٨) و(٩٥٩)، وابن ماجه (٣٠٧٧).

فمن أُحْصِرَ عن الحج لزمه دمٌ يُذْبَح في مكان الإحصار من الحِلّ أو الحرم على الراجح، فإن لم يجد صام عشرة أيام؛ ثلاثة في الحج، وسبعة إذا رجع إلى أهله قياسًا على دم التمتع؛ لقوله تعالى: «فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ» (البقرة: ١٩٦).

وأما الفوات فالمراد به: فوات الوقوف بعرفة، ووقتها: من ظهر اليوم التاسع من ذي الحجة إلى فجر اليوم العاشر يوم النحر، وقيل: من فجر يوم عرفة إلى فجر يوم النحر؛ لحديث عروة بن مضرس الطائي، قال: «أتيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم بالموقف يعني بجَمع، قلتُ: جئتُ يا رسولَ الله مِنَ جبلِ طَيِّئ، أكللتُ مَطيَّتي، وأتعبتُ نفسي، واللهِ ما تركتُ من حبْلٍ إلا وقفتُ عليه، فهل لي من حَجٍّ؟

فقال رسولُ اللّه صلّى الله عليه وسلم: مَنْ أدرَكَ معنا هذه الصلاة، وأتى عَرَفَات قبلَ ذلك ليلاً أو نهاراً فقد تم حجُّه وقَضى تفَثَه» أخرجه أبو داود (١٩٥٠)، وابن ماجه (٣٠١٦)، والترمذي (٩٠٦).

فمن فاته الوقوف بعرفة:

- تحلل بعمرة، ولا يتم باقي مناسك الحج.
- وعليه الحج من قابل.
- وعليه الهدي.

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢١٠/١٥) في قصة أبي أيوب وهبار بن الأسود إذ فاتهما الوقوف بعرفة: «فأمرهما عمر بن الخطاب كل واحد منهما:

- أن يُحلَ بعمل عمرة.
- ثم يحج من قابل.
- ويهدي.
- فمن لم يجد صام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع.

وهذا أمر مجتمع عليه فيمن فاته الحج بعد أن أحرم به، ولم يدرك عرفة إلا يوم النحر».

هذا ما يسره الله تعالى في هذا المقال؛ فإن يكن صوابًا فالحمد لله، وإن تكن الأخرى فأستغفر الله.

أثر سلوكيات الأراذل في اندثار كثير من الفضائل

الحلقة الثانية

إعداد/ المستشار أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وعلى آله وصحبه الشرفا، وبعد:
ما يزال الحديث متصلا عن حثّ الإسلام على كثير من الفضائل، ونهيه عن كثير من الرذائل، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ثانيا: فضيلة مساعدة السائلين، وابن السبيل:

وقد حث الإسلام على مساعدة السائلين الذين يجوبون الطرقات يسألون الناس أن يعطوهم من فضل الله، وابن السبيل المسافر المجتاز الذى فرغت نفقته فيعطى ما يوصله إلى بلده.

١- دليل الفضيلة:

قال تعالى: «لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (البقرة: ١٧٧)

قال ابن كثير - رحمه الله - في «تفسيره»: «(وابن السبيل) وهو: المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته فيعطى ما يوصله إلى بلده، وكذا الذي يريد سفرا في طاعة، فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه، ويدخل في ذلك الضيف (والسائلين) وهم: الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات، كما قال الإمام أحمد» اهـ.

٢- سلوكيات الأراذل:

وقد سلك الأراذك مسالك شتى في بحثهم عن المال والثراء السريع دون كدّ أو تعب، ومن ذلك الآتى:

بالنسبة للسائلين:

ارتداء أغلب المتسولات للنقاب، والوقوف، أو الجلوس عند إشارات المرور، وتقاطعات الطرق، والمطبات الصناعية، يحملن أطفالاً صغارًا - ليستجلب عطف المارة وقائدى السيارات.

قيام بعض المتسولين بحمل علب وشرائط وروشتات الأدوية والزعم كذبًا بعدم قدرتهم على شرائها، والمطالبة بثمنها، والبعض يدعى كذبًا احتياجه هو أو زوجه، أو أحد أولاده لإجراء جراحة عاجلة تحتاج إلى المال.

قيام بعض المتسولين بتوزيع حلوى، أو كتيبات، أو مناديل في وسائل المواصلات، ثم المرور على الركاب لأخذ المال، أو أخذها، والمال المدفوع فيها أكبر بكثير من ثمنها.

ادعاء البعض كذبًا بأن عليه دينًا كبيرًا يعجز عن أدائه.

ادعاء البعض كذبًا بحاجته للمال لتجهيز بناته، أو بناء بيته الذى تهدم ليأوي أولاده.

بالنسبة لابن السبيل:

فيقوم بعض الأراذل بادعاء أنهم من أبناء السبيل، فترى الرجل منهم يحلف بكتاب الله أنه من بلدة ثانية ويحتاج إلى المال للسفر إليها، حتى أن أحد هؤلاء قابل رجلاً فأخبره أنه من الصعيد، ثم قابله بعد أسبوعين فأخبره أنه من بورسعيد، ثم قابله بعد شهر فأخبره أنه من القاهرة!!!

وقد أدت هذه السلوكيات المشينة إلى إعراض كثير من الناس عن مساعدة السائلين، وابن السبيل، خوفًا من وقوع هذه الأموال في يد غير المستحق لها، مما يوشك باندثار هذه الفضيلة.

حكم إعطاء من لا يستحق من الصدقة، أو من زكاة المال:

ما نراه كثيراً في الشارع، أو في المساجد من متسولين يسألون الناس أموالهم: ليسوا جميعاً محتاجين على الحقيقة، بل قد ثبت غنى بعضهم، وثبت وجود عصابات تقوم على استغلال أولئك الأطفال للقيام بطلب المال من الناس، ولا يعني هذا عدم وجود مستحقٍ على الحقيقة، ولذا نرى لمن أراد أن يعطي مالاً لأحد هؤلاء أن يتفرس فيه ليرى صدقه من عدمه، والأفضل في كل الأحوال تحويل هؤلاء على لجان الزكاة والصدقات لتقوم بعملها من التحري عن أحوالهم، ومتابعة شئونهم حتى بعد إعطائهم.

ويمكن التأكد من صدق ابن السبيل في قوله بعدم إعطائه المال، وبأخذه إلى موقف السيارات ودفع أجرة السفر لسائق السيارة، مع أخذ التعهد عليه بعدم إعطائها له لو أراد النزول من السيارة قبل تحركها، أو بعد مغادرتها في الطريق.

ومن أعطى أحداً ممن يجوز له إعطاؤه ظاناً أنه محتاج: فله الأجر على صدقته تلك، حتى لو تبين فيما بعد أنه غير محتاج، وحتى لو كان المال المُعطى له زكاة مال فإنها تجزئه ولا يُلزم بتكرار أدائها.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَة فَخَرَجَ بِصَدَقَته فَوَضَعَهَا في يَد سَارِقٍ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَة فَخَرَجَ بِصَدَقَته فَوَضَعَهَا في يَدَيْ زَانِيَة فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَة، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَة، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَة، فَخَرَجَ بِصَدَقَته فَوَضَعَهَا في يَدَيْ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَة وَعَلَى غَنِيٍّ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَته، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ». (رواه البخاري، ومسلم).

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في «اللقاء الشهري»: «إذا غلب على ظن الإنسان أنَّ الذي أعطاه مستحق للزكاة: أجزأه، سواء كان متسولاً، أو كانت هيئته هيئة الفقير: فإنه يجزئه؛ حتى لو بان بعد ذلك أنه غني، فإنه يجزئ، ولهذا لما تصدق الرجل على غني وأصبح الناس يتحدثون: تُصدق الليلة على غني، قيل لهذا المتصدق الذي ندم على تصدقه على الغني: « أما صدقتك فقد قبلت »، والله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها، لا يلزمنا أن نبحث عن الإنسان حتى نصل إلى حد اليقين، هذا شيء متعذر، أو متعسر، إذا غلب على ظنك أن هذا من أهل الزكاة: فأعطه، وإذا تبين أنه ليس من أهلها: فزكاتك مقبولة، والحمد لله» اهـ.

ثالثاً: فضيلة إغاثة الملهوفين وإعانة المحتاجين:

حث الإسلام على إغاثة الملهوفين، فالذي يطلب العون قد يكون مظلومًا أو عاجزًا أو مكروبًا، وفي كل الأحوال فإن إعانته وقضاء حاجته فيها تفريج لكربته.

١- دليل الفضيلة:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ: «إيَّاكم والجُلوسَ بالطُّرُقات! قالوا: يا رسولَ الله، ما بُدٌّ لنا من مَجالسنا نتحدَّثُ فيها، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم: إنْ أبيْتُم فأعْطوا الطَّريقَ حقَّه، قالوا: وما حَقُّ الطَّريق يا رسولَ الله؟ قال: غَضُّ البَصَر، وكَفُّ الأذَى، ورَدُّ السَّلام، والأمْرُ بالمَعروف، والنَّهيُ عن المُنكَر، قال: وتُغيثوا المَلْهوفَ، وتَهْدوا الضَّالَّ» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

وقد تكفل الله لمن فرج كربة الملهوف أن يفرج عنه كربة من كربات يوم القيامة: «ومَن فَرَّجَ عن مُسْلم كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّه عنْه كُرْبَةً من كُرُبَات يَوم القيَامَة» (رواه البخارى).

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم السعي في حاجة المحتاجين أفضل من الاعتكاف في مسجده شهرًا، ومن أسباب تثبيت الأقدام على الصراط، فعن عبد الله بن عمر رضى الله

عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَحَبُّ الناس إلى الله أنفعُهم للناس، وأَحَبُّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخلُه على مسلم، تَكشفُ عنه كُربةً، أو تقضي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا، ولأَنْ أمشيَ مع أخٍ في حاجة؛ أَحَبُّ إليَّ من أن أعتكفَ في هذا المسجد- يعني مسجدَ المدينة- شهرًا، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يُمضيَه أمضاه؛ ملأ الله قلبَه يومَ القيامة رضًا، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يَقضيَها له؛ ثبَّتَ الله قدمَيه يومَ تزولُ الأقدامُ» (أورده المنذري في الترغيب والترهيب، وصححه الألباني)

٢- سلوك الأراذل:

تعددت سلوكيات الأراذل، وتنوعت اعتمادًا على حب الناس لإغاثة الملهوفين، فكانت على النحو التالي:

أ - افتعال المشاجرات:

قيام بعض الأراذل بافتعال مشاجرة، فيقوم أهل الخير من الناس بمحاولة التدخل للإصلاح بين المتشاجرين، وبعد فض المشاجرة، وانصراف أطرافها، يفاجىء المسكين بسرقة حافظة أمواله، أو هاتفه المحمول.

ب - ادعاء المرض:

تقوم إحدى النساء بالوقوع على الأرض، متظاهرة بالإغماء، فتسارع بعض النسوة بمحاولة مساعدتها، فتقوم بعض النساء المجرمات معها بالاستيلاء على متعلقات النساء المساعدات من المشغولات الذهبية، ولا تشعر المرأة بذلك إلا بعد انصرافهن.

ومع انتشار هذه السلوكيات المرذولة، أحجم كثير من الناس عن إغاثة الملهوفين، خوفًا من سرقة متعلقاتهم الشخصية، أو درءا للمسئولية، وحذروا أولادهم ومن يعرفونهم من فعل ذلك حتى كادت تلك الفضائل أن تندثر بسبب سلوكيات الأراذل.

رابعا: فضيلة الاعتناء بالمخدومين والعاملين:

حث الإسلام أتباعه على الاعتناء بالمخدومين، والعاملين، وقد تواترت الأدلة على ذلك، ومنها:

دليل الفضيلة:

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بإطعامهم مما نأكل، وإلباسهم مما نلبس، وألا نكلفهم ما لا يطيقون، وإلا فلنعينهم، فعن أبي ذر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فأعِينُوهُمْ» (رواه مسلم).

ونهى عن الإساءة إليهم حتى في تسميتهم، ومناداتهم، فعن أبي هريرة رضى الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَقُلْ أحَدُكُمْ: أطْعِمْ رَبَّكَ وضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، ولْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلَايَ، ولا يَقُلْ أحَدُكُمْ: عَبْدِي أمَتِي، ولْيَقُلْ: فَتَايَ وفَتاتي وغُلَامي» (رواه البخاري).

وأمر بالعفو عن أخطائهم، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: «جاء رجلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله، كم نعفو عن الخادم فصمَتَ، ثم أعادَ عليه الكَلامَ فصَمَتَ، فلما كَان في الثالثة قال: أعفو عنه في كل يوم سبعين مرة» (رواه أبو داود وصححه الألباني).

سلوكيات الأراذل:

وقد تعددت سلوكيات الأراذل من بعض المخدومين والعاملين على النحو التالي:

قيام بعض الأراذل من المخدومين أو العاملين بخيانة الأمانة، وذلك بسرقة أموال من يخدمه، أو بهتك عرض زوجته وأولاده، أو بالاعتداء بالضرب على أطفاله، أو كبار السن من أهل البيت.

قيام بعض العاملين بخيانة الأمانة، وسرقة من يعمل عنده، أو غشه، أو عدم الوفاء بالمواعيد.

وقد أدت هذه السلوكيات إلى إساءة البعض- بعد ذلك- إلى المخدومين والعاملين، وذيوع الشك والريبة، وكادت هذه الفضيلة أن تندثر.

الوقفة الرابعة: كيفية علاج المشكلة:

ويكمن العلاج في اتباع الآتي:

أولاً: نشر هذه الفضائل بين الناس، وبيان حكم الشرع فيها.

ثانيًا: تحذير الناس من سلوكيات الأراذل التي يفعلونها، والتي يبتكرونها، ليجتنبوها.

ثالثًا: الأخذ على أيدي الأراذل، ببيان وعيد الله لهم على هذه السلوكيات، وتحذيرهم من العودة إليها، والضرب بيد من حديد على من يعود إليها.

والله الموفق.

ثمن الكرتونة

١٠٥٠ جنيه

مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها

المكتبة الإسلامية

المكتبة العامة

مكتبتك الخاصة

الأسرة المسلمة

لا يستغني عنها بيت مسلم

- الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
- أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
- كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي

للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
23936517

(+2) 01067717725
Altahhan.goldendates

محافظة الوادي الجديد

خدمة العملاء
01284447778
01128911113

قلعة صناعة التمور فى مصر